الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشّاذلي بن جديد الطارف

كليّة الآداب واللّغات — قسم اللّغة العربيّة وآدابها

مـــذكّـــــرة تخـــرّج

تجليّات التّراث الصحراوي في مملكة الزيوان للحاج أحمد الصدّيق الزيواني

مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

الميدان: اللّغة والأدب العربي

الشّعبة: الأدب العربي

تخصّص: أدب شعبي

إعداد الطالبتين:

- لينـــــدة حناني
- ناديـــــة حسيني

إشراف الأستاذة:

الدكتورة: وردة لعراب

لجـنـة الـمناقـشـة

الاسم واللّقب	الرّتبـــة	الجامعة	الصّفة
د.نوال عاتي	أستاذ محاضر – أ–	الشّاذلي بن جديد –الطارف	رئيـســـا
د.وردة لعراب	أستاذ محاضر – أ–	الشّاذلي بن جديد –الطارف	مشرفاً ومقرراً
د.أمال بشاينية	أستاذ مساعد – أ–	الشّاذلي بن جديد –الطارف	عضوا ومناقشا

السّنة الجامعيّة: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نتقدم بقلوب شاكرة ونفوس خاشعة

للذي أمدنا بالعقل والحياة وفضلنا عن سائر المخلوقات والذي

يستحق الشكر وحده لا شريك له

مصدّقا لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

نتقدم بالشكر الجزيل وكل احتراماتنا وتقديراتنا

إلى الأستاذة المشرفة على هذه الرسالة الدكتورة "وردة لعراب"

على مساعدتها لنا في إنجاز هذا البحث العلمي وعلى النصائح

والتوجيهات السّديدة التي قدّمتها لنا.

كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقرة.

دون أن ننسى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

إضافة إلى كل من ساهم في إنجاح هذا التخصص

من قريب أو بعيد.

ونرجو من العلي الحكيم القدير أن يوفقنا

للوصول إلى ما نسعى إليه

إهداء

أهدي عملي هذا

اللّذان كان لهما الفضل العظيم في تربيتي

وتعلمي واقتبست منهما الأخلاق القيمة

إلى والديّ "أمي وأبي"

إلى زوجي وأبنائي الأعزّاء "شعيب ونوح"

إلى أختي الغالية "نعيمة"

إلى إخوتي وزوجاتهم

إلى صديقتي "سميرة"

إلى كل من تجمعني معهم علاقة من بعديد أو من قريب

إلى جارتيّ "دلال وصوريّة وصباح"

أهدي لهم ثمرة جهدي.

ليندة حنّاني

إهداء

أهدي عملي هذا

اللذان كان لهما الفضل العظيم في تربيتي وتعلمي واقتبست منهما الأخلاق القيمة

إلى روح والدتي الطيبة أمي –رحمهما الله رحمة تسع الكون كله

إلى روحها الطيبة عليها رحمة الله والذي أسأله أن يتغمدها برحمته الواسعة ويسكنها فسيح جناته

إلى أبي الغالي

إلى عكّازي وسندي وقوتي

ابني الغالي "صهيب"

إلى أختي الغالية "اليامنة" وإلى إخوتي

إلى كل زملاء العمل وكل من تجمعني معهم علاقة من بعديد أو من قريب

نادية حسيني

مقدمة

المـقــدّمـــــة:

التّراث هذه الكلمة الواسعة الدّلالة التي تمثل الذاكرة الحيّة للفرد والمجتمع، وهي الركيزة التي ترتكز عليها الأمة، التي تساهم في تعزيز الروابط بين الماضي والحاضر والمستقبل كما أنّها تساهم في استمرارية المجتمعات، وتشكّل كل ما ورثناه عن الماضي الذي عشناه وننقله إلى الأجيال اللاحقة تمثل الهوية الوطنية، كما أنّها تشكل ذاكرة الأوطان التي كانت نتاج عقول بشرية مستمرة، التي تشتمل على مختلف العادات والتقاليد والممارسات والفنون والتجارب والقيم.

وبما أنّ الصحراء تلك الأرض التي تتّصف بشدة جفافها وبحرارتها العالية الدائمة والمكان الواسع الموحش والذي يشكّل فضاء واسعا للعديد من الشعراء والروائيين العرب الذين شكلت لديهم الملكة والإبداع لإخراج كل ما يخالجهم من أفكار ومن آمال ومن آلام، فقد أبدع الشعراء في وصف الصّحراء، فهي منجم لقيم التحمّل، والتأمّل، والصبر، وصفاء الذهن ورؤية ما لا يراه إنسان المدينة.

وقد قاوم الإنسان مهالك الصحراء فصنع لنفسه عالم من المجهول إلى عالم الاستئناس والمعلوم، كما أنّ البدوي جعل منها عالمه الخاص: عاش بين كثبانها ، أخذ منها دروسا وعبر، فلرمالها قوة تاريخية فهي تروي سيرة الأجداد، والآباء، والقدماء، إضافة إلى روايات القبائل التي كانت تسكنها في أحد الأيّام.

ارتبطت الصحراء بالبداوة لأنّها أحد محدّدات الهوية الثقافية للشعوب وفهم رؤية الإنسان للحياة والعلاقة بينها علاقة تكيّف، وتعايش مع الظروف إنّها دارنا، وحياتنا، وهويتنا ومستقبلنا، أرض تنبض بالحياة.

ويعدّ موضوع التراث الصحراوي وتوظيفه في الأعمال الأدبيّة من المواضيع الّتي أثارت اهتمام الروائيين والكتّاب، ذلك أنّ تيمة الصحراء ساعدتهم في خلق جو إبداعي وذلك لما تضمّنه تراثها من قيم أدبية ومجال خصب للتعبير عن مكنوناتهم.

ويعدّ "الحاج أحمد الصديق" من الروائيّين الجزائريين الذين بادروا لإحياء التراث الصحراوي في عمله الروائي الموسوم بـ "**مملكة الزيوان**" متأثّرا بطبيعة الصحراء القاسية وكيفيّة التأقلم مع تلك الظروف والعادات، والتقاليد السائدة في ذلك الوقت.

تطرّقنا نحن إلى هذه الدّراسة التي تحمل عنوانا موسوما بـ "**تجليّات التراث الصحراوي في مملكة الزيوان للحاج أحمد الصديق**" من أجل معرفة كل معالم التّراث التواتي والدوافع التي أدت بالزيواني إلى إحياءه، محاولين بذلك إضاءة بعض خصوصياته وخلفيّاته ثمّ البحث في استراتيجيّاته ،مجيبين على بعض الأسئلة منها:

- ما هي الدوافع التي أدّت بالزيواني إلى توظيف التراث الصحراوي في الرواية العربية؟
- كيف وظّف الزيواني التراث الصحراوي في مملكته وما هي أهمّ عناصر الصحراء الموظّفة؟
- ما هي أهمّ الآليّات الّتي قدّم بها الزيواني التراث الصحراوي في المملكة؟

يعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب مختلفة ترتبط بقيمة الموضوع التراثيّة ثمّ مكانته المعرفيّة أهمّها:

-إبراز قيمة التّراث الصحرواي من خلال توظيفه في المتن الروائي العربي عامّة والجزائري خاصّة.

-التعريف برواية "مملكة الزيوان" للروائي الصدّيق حاج أحمد الشهير بـ: الزيواني باعتبارها من أهمّ الأعمال الأدبية، وتقديمها للقارئ الجزائري والعربي عامّة.

-جمع كلّ المعلومات التي تتعلّق بالزيواني من مختلف المواقع واللّقاءات التلفزيونية العربية والعالميّة، وذلك بعد أن قلّت الدّراسات حول تاريخه الشخصي والفنّي.

-أنْ يكون البحث محاولة جادّة نأمل أن تكون منتجة لإثراء الأدب الشعبي الطارفي خاصّة ثمّ الأدب الشعبي الجزائري والعربي بصفة عامّة، ولعلّنا نضيف بهذا ، فكرة تستحقّ الذكر وموضوعا يستحق أن يصفّ في رفوف المكتبة الشعبيّة.

وقد رأينا أنّ أصلح المناهج للظفر بهذه الدّوافع ثمّ الإجابة على ما تقدّم من تساؤلات هو المنهج الوصفي التحليلي الذي ساعدنا في تتبّع مختلف عناصر التراث الصحراوي ورصد دلالاته المختلفة في المتن الروائي.

وقد اتّجه المنهج المتتبّع في تقديم الدّراسة إلى اعتماد خارطة عمل تقوم على تقسيمها إلى: مدخل وفصلين تسبقهم مقدّمة وتتلوها خاتمة متضمّنة أهم النتائج المتوصّل إليها.

عمدنا في المدخل الموسوم بـ "**الصديق حاج أحمد/مملكة الزيوان: سيرة وعمل**"إلى تقديم لمحة عن الكاتب "الصدّيق حاج أحمد"، ومختلف أعماله ومؤلّفاته كمبحث أوّل، ثمّ في مبحث ثانٍ وقفنا على الرواية "مملكة الزيوان" مدوّنة البحث وصفا من حيث الشكل والمحتوى.

اتّجه الفصل الأول النظري الموسوم بـ "**التراث/ الصحراء: رؤى ومفاهيم**" إلى ضبط مصطلحي التراث والصحراء ثمّ الإحاطة بجميع جوانبها في مختلف الامتدادات المعرفية والثوابت النوعية محاولين بذلك رسم مشهد مفصّل عنهما في الساحة النقديّة والتراثية.

أمّا الفصل الثاني الفصل التطبيقي الموسوم بـ "**تجليّات التراث الصحراوي في مملكة الزيوان**" فقد خُصّص لرصد تجليّات التراث الصحراوي بمختلف أنواعه، واقفين على أهمّ عاداته وتقاليده وطقوسه ومناخه، معرّجين على التّراث الأدبي بمختلف توظيفاته.

لنختم بأهمّ النتائج المتوصّل إليها.

وبعد أن توفّرت الدّراسات الخاصّة بموضوع التّراث عامة، وتنوّعت الدراسات الأخرى الخاصة بمفاهيم الصحراء وتوظيفاتها، وبعد أن حصلنا على الرّواية بشقّ الأنفس بمساعدة من ابن الزيواني الذي اقتناها من مكتبة المغلّي بولاية أدرار، والتي استغرقت أشهرا حتّى وصلت إلينا.

وبعد أن امتنع الزيواني عن التواصل معنا عبر صفحاته الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، حتّى يمدّنا بسيرته الشخصيّة والعلميّة إذ ما وجد في الساحة النقديّة يتّسم بالإيجاز والعرض السّريع والأفكار العامّة، فليس هناك ما يمنحنا دراسة مستفيضة عن حياته وسيرته إلاّ بعضا من المعلومات المتناثرة هنا وهناك في المذكّرات والجرائد، ممّا دفع بنا إلى تتبع جميع حواراته على القنوات العربيّة والعالمية والتي كان يشير من خلالها إلى بعض من حياته.

ونحن هنا لا ندّعي أنّنا راجعنا كلّ المكتبات الجزائرية في نسختها الورقية أو الإلكترونيّة، لكنّنا بذلنا جهودا وفيرة بحثا وتنقّلا ومسائلة.

كما لم يعقنا توقّفا عن الدّراسة لما يقارب العشرين سنة ثمّ عودتنا للبحث بعد إن غابت عنّا تقنيّات الكتابة وفنيّات المنهجية، لكن بالدربة والمران، ثمّ بنصائح وتوجيهات الأستاذة المشرفة الأستاذة **وردة لعراب** الّتي تستحي كلمات الشكر بقدرها القليل على توفية حقّها، فقد تابعتنا بعناية ودقّة وقرأت كلّ سطر نكتبه حتّى استوفى البحث على سوقه، كما أتوجه بالشكر الجزيل لأساتذة لجنة المناقشة على تكبّد عبء القراءة وعلى ما يقدّمونه من توجيهات وتعديلات.

والشكر الأوّل والأخير لله سبحانه وتعالى بأن منّ علينا بهذه النّعم العظيمة، وصلّ اللهم وصلّ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

المدخل

الصدّيق حاج أحمد/ مملكة الزيوان

سيـــرة وعمـــــل

أولا: الصدّيق حاج أحمد مصادر الثقافة، دينامية التحوّل

ثانيا: مملكة الزيوان: هندسة البناء ومعمارية الرّواية

أولا: الصدّيق حاج أحمد مصادر الثقافة ، دينامية التحـوّل

الصدّيق حاج أحمد أكاديمي وروائي جزائري من مواليد 19 ديسمبر1967 بزاوية الشيخ المغلي ولاية أدرار، أستاذ لسانيات النص بجامعة أدرار، مهتمّ بالدراسات اللّسانيّة والأدبية وكذلك التاريخية والأنثربولوجية.

تلقّى تعليمه القرآني بداية بكتاب القصر على يـــد شيخه حاج أحمد الحسين الدمراوي، وتدرّج في التعليم النظامي حيث تحصل على البكالوريا والليسانس والماجستير والدكتوراه ، حاصلا عليها من جامعة الجزائر المركزية [1].

تقلّد عدّة مهام بالجامعة منها: نائب عميد بكليّة الآداب واللغات لمدّة سنتين ليتفرّغ بعدها للتدريس والبحث والإبداع.

*** النتاج الروائـــي: [2]**

- مملكة الزيوان 2013.
- كامارا رفيق الحيف والضياع 2015.

*** النتاجات الأخرى: [3]**

- التاريخ الثقافي لإقليم توات 2013.
- الشيخ بن بادي الكنتي حياته وآثاره 2009.

---

[1] الصديق الحاج أحمد الزيواني، مملكة الزيوان، دار الداوية للنشر والتوزيع، أدرار، الجزائر، 2021، ص138.

[2] وداد مهدي وفطيمة يفور، الحضور التراثي في رواية مملكة الزيوان لصديق حاج أحمد، مذكرة ماستر ، جامعة محمد الصديق بن يحي ، تاسوست، جيجل، 2019/2018، ص79 .

[3] المرجع نفسه، ص79 .

*** جوائز وندوات واستضافات للرّوائي:**

شـارك الصديق حاج أحمد الزيواني في عدّة ندوات واستضافـات ونـال العديد من الجوائز نذكر منها:

- ندوة بقسم اللّغة العربية بجامعة أدرار حول رواية مملكة الزيوان كما شارك في العديد من الملتقيات منها ملتقى السرديات بأدرار حول الرواية واستضيف في حصة ضيف الثالثة بالقناة التلفزة الجزائرية الثالثة وتم تكريمه لروايته مملكة الزيوان بمدينة عين الصفراء من طرف جمعية صافية كـتـو.[1]

*** نقـــد ودراسـات عن الرّوائي الصديق حاج أحمد الزيواني:[2]**

- جماليّة المتخيل الأنثربولوجي في رواية مملكة الزيوان: عبد القادر ضيف الله جريدة الحياة الجزائر.
- مملكة الزيوان رواية من عمق الجنوب الجزائري : هيثم حسين، الجزيرة نت.
- مملكة الزيوان، حكاية الإنسان وأسطورة الرمل والبلح حفيظة طعام (جريدة الفكر).
- مملكة الزيوان ومغازلة الفضاء الصحرواي: عبد الله كروم (جريدة صوت الأحرار).
- أطروحة الدكتوراه حول رواية مملكة الزيوان بعنوان فضاء الصحراء في رواية مملكة الزيوان كلية الآداب بجامعة أدرار الجزائرية.
- كتاب بعنوان شعرية الفضاء الصحراوي في رواية مملكة الزيوان: فاطمة قاسمي 2015.
- رواية كاماراد، عن مأساة العبور وخيبة الوصول للآخر عبد القادر رابحي (جريدة النصر الجزائرية).

---

[1] خالد بن إبراهيم السليطي، مجلة سرديات المؤسسة العامة للحي الثقافي الدوحة، قطر، ع8 أغسطس، 2023، ص02 .

[2] المرجع نفسه، ص02.

يدخل الحاج أحمد الزيواني عالم النشر من بابه الواسع، حيث أسّس دار الداويــة للنشر والتوزيع ولـه مساهمات كثيرة ومتواصلة مع الصحافة الوطنية وكذلك الصحافة العربية لا سيما جريدة العرب الجديدة اللندنيّة، كانت أوّل رواية له سنة 2013 تحت اسم مملكة الزيوان، ظهرت الطبعة الأولى المحلية بالجزائر عن طريق دار فيسيرا، لكنّها ظلّت حبيسة القطر الجزائري ولم يتمكن القارئ العربي الاطلاع عليها ممّا جعل الروائي الصديق حاج أحمد الزيواني يطلب نشرها في دار فضاءات الأردنية حيث لاقت رواجا كبيرا عالميا ودوليا.[1]

وبعدها رواية كامارادا رفيق الحيف والضياع، وله مجموعة إصدارات أخرى في مجال الدراسات والأبحاث وأدب الرحلة، من بينها: رحلاتي لبلاد السافانا والنيجر ومالي والسودان، كما أسهم في العديد من المنابر الإعلامية عربيا وجزائريا وإثارة عدد من المسائل الإبداعية والأدبية والفكرية. [2]

أمّا عمله الجديد فهو رواية تعتبر الثالثة في رصيده وهي موسومة "منا قيامة شتات الصحراء"، وهي كما قال الزيواني تكاد تكون جاهزة لدفعها للنشر –نوارة لحرش–".[3]

---

[1] حوار مع الزيواني، جريدة النصر، على الموقع :https ://www.annas.sonline.com 13 فيفري 2023 على الساعة: 51: 21.

[2] حوار مع الزيواني، جريدة الشروق، على الموقع: https ://www.echourouk online.com.in الساعة 22:08 .

[3] المرجع نفسه، على الموقـع نفسـه.

ثانيا: مملكة الزيوان: هندسة البناء ومعمارية الروية:

صـدرت رواية "**مملكة الزيوان**" في 26 سبتمبر 2013م، بدعم من دار الثقافة لولاية أدرار، تحتوي على مئتين وتسعة وثلاثون صفحة ، تختلف عدد الصفحات من طبعه إلى أخرى، فهناك طبقة تحتوي على مئة وثمانية وثلاثون وطبعة تحتوي على مئتين صفحة. مؤلّفها الصديق الحاج أحمد الزيواني، نشرتها دار الداوية للنشر والتوزيع، لولاية أدرار.

جاء غلاف الكتاب باللونين البنفسجي والبرتقالي، فغلاف الكتاب هو واجهته الرئيسية التي تطلّ منها على قرّائه، وهو البوابة التي يعبـر القارئ من خلالها إلى محتواه. فكما لكلّ منّا وجه له ملامحه التي تميّـزه عن غيره، فكذلك بالنسبة لغلاف الكتاب الذي بين أيدينا.

عنوان الرواية كان عبارة عن بوابة نطلّ من خلالها على صحرائنا الجميلة المكتسية بالرمال والنخيل، فالنخلة تمثل رمز الحياة ومستقرها والرمال رمز إلى الصحراء.

كتب عنـــوان الروايـــة "**مملكة الزيوان**" بخط عربي عريـض يهدف مـن خلاله إلى لفت انتبـــاه القـــارئ ، جاء على شكل جملة اسمية، والجملة الاسمية من دلالتها الثّبات والاستقرار.

كلمة الزيوان لهجة محليّة خاصّة بمنطقة أدرار، يختص بها المجتمع التواتي، و تعني العرجون القديم اليابس من التمر، ويقصد بها هنا الإنسان التواتي الأصيل الذي يسكن هذه المملكة، كون مجتمع الزيوان يمثل العراقة والعمق والأصالة.[1]

الصفحة الثانية من الرواية تحمل اسم المؤلف الزيواني ، يتبعه مباشرة عنوان الرواية يليها التجنيس "رواية" أسفل الصفحة باللون الأسود العريض.

[1] مهدي وداد، يافوز فطيمة، تجليات الحضور التراثي في رواية "مملكة الزيواني"، مذكرة ماستر،2018-2019، ص38.

الصفحة الثالثة عبارة عن إهداء قدمه الراوي، أمّا الصفحة الرابعة فتحمل عنوان "قفل ضاع مفتاحه في كرناف النخل".[1]

الصفحة الخامسة حتى الصفحة العشرين فكانت معنونة بـ: "تصوّر **نفسك أمام مدخل قصبة القصر الطيني**"، أما الصفحة الواحد والعشرين إلى الصفحة التسع والعشرين، فكانت تحمل عنوان "**بداية مستقلّة من النهاية**"، فقد بدى الروائي فيها يستحضر النهايات في بداية روايته، فقد كان يقدّمها في الاستهلال الّذي ما يسمى بالتفريش[2]، الذي يعرف على أنه تقديم بعض الأفكار المتعلّقة بأهل المنطقة وسبل معيشتهم وتعاملهم فيما بينهم، وطرق تواصلهم مع الآخرين وغير ذلك من الخصوصيّات التي يتفردون بها، والتي تصل أعلى درجة التضيق عليهم وتصبح قيدا يكبت النفوس والرغبات معا.

يروي لنا الزيواني مراحل تطوّره منذ ولادته وحتى تخرجه من الجامعة وزواجه وإنجاب ابنه البكر مرورا بالحبو ثم المشي ثم التدرّج في فصوله الدراسية والتنقل بين القرية والمدينة ثم العاصمة والتعلق ببنت العم "أميــزار".

يختار الحاج أحمد التخصّص في التاريخ[3]، لاعتقاده أنّ التاريخ يحمل الكثير من العبر والدروس ، ويظل الزيواني مقيدا بأصدقائه وعلاقاته بهم.

في مملكة الزيواني يرصد لنا الحاج أحمد الزيواني المتغيرات الاجتماعية التي مرت بها الجزائر عامة ومنطقة أدرار خاصة في الصحراء الجنوبية ومحيطها خاصة، ويصوّر لنا حياة الناس حينما تجتاحهم متغيّرات عديدة وانشغالهم بالمستقبل والخصوصية، فيدفن التاريخ ويصبح رهنا للذكريات.[4]

---

[1] الصديق حاج أحمد ،"مملكة الزيوان"، ص4 .

[2] الزيواني سيرته وحياته، قناة الجزيرة، على موقع يوتيوب، 2024/02/18 ،على الساعة: 30: 11 .

[3] المرجع نفسه، على الموقع نفسه.

[4] المرجع نفسه، على الموقع نفسه.

يحاول الحاج أحمد الزيواني في روايته أن يبرز لنا البنيات الرئيسية التي شكّـلت ذهنية أبناء المناطق الصحراوية، ويرصد لنا مكامن الأخطار ، وما تبع ذلك من طقوس وعادات وتقاليد .[1]

تدور أحداث الرواية بين عدد من الشخصيات الرئيسية وهي:

-"**لمرابط الزيواني**": تحتل هذه الشخصية جزء كبيرا من الرواية، ينوب البطل الرئيسي "لمرابط الزيواني" عن الزيواني ليتحدث عن أوضاع أهالي القصور ومعاناتهم وإعتراضهم الدائم فيما بينهم، وقد ذكر الكاتب تفاصيل هذه الشخصية "المرابط" منذ ولادته وقدومه إلى الحياة.

-**الأم** : وهي الشخصية المقربة لقلب "لمرابط" كانت تعيش على أمل إنجاب الولد، فقد وصف لنا علاقتها "بالمرابط" وكيف كانت تراعيه منذ ولادته.

-**الأب**: شخصية تنتمي إلى الطبقة المحرومة من المجتمع، فكان حنونا ومكافحا.

-أما فيما يتعلق بالشخصيات الثانوية نذكر:

-**الأخت "مريم"** : ذكرها بنبرة الإشفاق عليها بسبب العادات والتقاليد الموروثة.

-"**عيشة مباركة**" : فهي قابلة القصر تساعدها ابنتها "النايرة " في مهامها.

-"**الطالب ايقش**" : وهو شخصية فريدة من نوعها، يؤدي طقوس مختلفة إذ يتعامل مع عالم الجن، حيث يلجأ إليه الناس لحل مشاكلهم الحياتية.

-"**أميزار**": ابنة عم الراوي ويدعى "الغيواني".

-"**السيد الحاج عبد السلام**" :: شخصية مسؤولة عن جماعة القصر.

-"**جاسم العراقي**" : أستاذ و قدوة " المرابط " والنموذج الذي يهتدي به.

---

[1] حوار مع الزيواني، تحليل مملكة الزيوان، حصة خير جليس، العربيّة نت على الموقع: https://khaerjalees.com بتاريخ 2024/02/18، على الساعة: 00: 21.

1-الزقـــاق الأول: من قصبة القصر الطيني:

من الصفحة 15 إلى الصفحة 25، عدد الصفحات: 10 ،جاء يستذكر لنا الزيواني يوم مولده، ويحلّل نفسية المحيطين به إثر انسلاله إلى الحياة بصرخة الوليد التي أطلقها، ويصف كيف اهتم به المجتمع كونه الذكر الأول في الأسرة، ذلك لأن أمه أجهضت مرتين سابقا، وأنجبت قبله فتاة اسمها "مريمو" وفي عرف أسرة الزيواني يتم حرمان الإناث من المواريث، ويتم وقف الأملاك والأراضي للأبناء الذكور فقط. يقول: "لما كان من سوء طالعها، أن ولدت في الحمل الثالث أختي مريمو، وبالرغم من أن البنت غير مرحّب بها في قصورنا يومها، لكونها لا ترث ما حسب من الميراث".[1]

تحدّث الزيواني في هذا الزقاق عن الأحداث التي جرت بين أمه وعمته "نفوسة" وكيف كانوا ينتظرون ولادته، فقد كانت سبع سنوات، وكانت هذه السنوات ثقيلة عليهم، يقول: "لقد انتظر أبي ولادتي وعمتي "نفوسة" قبل ميلادي بسبع سنوات".[2]

وبعدها تحدث لنا "الزيواني" عن النكبة التي حلّت بهم عام مولده، حيث أتى الجراد على الأخضر واليابس، ولم يترك للفلاّحين أيّة نخلة، فهذا العام بقى منحوتا في أذهان سكان القصر، ممّا جعل أهل القصر يرحلون الى تونس طلبا للرزق، من بينهم أبناء عمومتهم المدعو السيد "الغيواني التواتي".[3]

---

[1] الصديق الحاج أحمد، مملكة الزيوان، ص19 .

[2] المصدر نفسه، ص21.

[3] المصدر نفسه، ص20.

2- الزقاق الثاني من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق الثاني من الصفحة 26 الى الصفحة 37 عدد الصفحات: 12.

يروي لنا الزيواني بعد مرور سبعة أيام من ولادته بما يسمى بالسبوع والطقوس التي تصاحب هذه المرحلة عند العائلات التواتية للاحتفال بالمولود الذكر، كذبح الأضحية والمسمّاة بخروف الدمان[1]، وكذلك وضع المولود داخل جلد تلك الأضحية لإبعاد كل ما هو شر وبأس. وبعدها تقام وليمة للغداء ودعوة العديد من الحاضرين إليها من الأقارب والشرفاء والشيوخ القبائل ...الخ، ويقوم الحضور بالتهنئة بالمولود الجديد كقول العم: "اللّهم اجعله من العائشين والعاقبة لإخوانه القادمين".[2]

وبعد الفراغ من تلك الوليمة، يصرّح الوالد بإسم المولود الجديد على أنه سمي باسم جده الأكبر المرابط ويعتبر ذلك فال حسن. ودُعي له بطول العمر والصلاح. بعدها يروي لنا الزيواني طقوس الحلاقة على يد عيشة مباركة كذلك العادات التي توضع على المولود مثل الحجابات والمسمار والكحل...الخ، وهذه من العادات التواتيّة الصحراوية للتعبير عن الفرح بقدوم مولود ذكر. كما يستحضر لنا الزيواني الطقوس التي تقام للأم بعد إكمال مرحلة النّفاس بوضع كوضع الحناء، العطر، المسواك، لباس إزار المحمودي الأزرق، البخور، التعويذات، كقول العمة: "عش عش يا لباس".[3]

ثمّ زيارة ضريح ولي صالح للتبرّك به، سيدي شاي ولي الله. وقام بوصف ذلك الضريح وفي نهاية الزقاق سيتذكر عودة أبيه سالما من تجارته من بلاد السودان احتفالا بهذه المناسبة السعيدة، ويتم لمّ شمله مع أمه التي كان ينتظر خروجها من النفاس بفارغ الصبر.

---

[1] المصدر السابق، ص27.

[2] المصدر نفسه، ص28.

[3] المصدر نفسه، ص34.

3- الزقاق الثالث من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق الثالث من الصفحة 38 إلى الصفحة 47، عدد الصفحات:10.

يروي في هذا الزقاق بعد تماثل الزيواني إلى الجلوس والرضاعة والحبو عند بلوغه الستة أشهر وذلك بحفر أمه حفرة للتمرّن عليها للجلوس ثم بلوغه مرحلة الحبو، وتقام بعض الطقوس للمولود على يد طبيب القصر بما يسمى بالشراطة كما يقال باللغة التواتية مثل قولهم: "راه خرج منو دم الحرام"[1]، ثمّ ذكره لمرحلة خروج الانسان بالأمر الصعب والمميت ثم يصف لنا حال أخته مريمو بأنها فتاة منبوذة ولا حظ لها في ذلك المجتمع الذي يفضل الذكر على الأنثى كقولهم: "البنت عدنا كالرقبة موكولة ومدمومة"[2]، ثمّ بعد ذلك تماثله للمشي والقدرة على التحرّك وتقام له مناسبة تسمّى بالفطام، كذلك تقام بعض الطقوس احتفالا به لبلوغه العامين، ومثل هذه الطقوس: (وضع خيطين واحد منهما أبيض والاخر أسود)، وعقدهما سبع عقدات تسمى (قل هو الله أحد)[3]، وكتابة بعض الآيات عليه، وفي نهاية الزقاق تولّت العمة نفوسة هذه الطقوس بوضع تلك الآيات على رقبتي.

---

[1] المصدر السابق، ص40.

[2] المصدر نفسه، ص43.

[3] المصدر نفسه، ص47.

4-الزقاق الرابع من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق الرابع يبدأ من الصفحة 48 إلى غاية الصفحة 55 ، عدد الصفحات: 08.

يروي لنا الزيواني عن مدى فرحه عند تماثله للمشي واكتشافه العالم الخارجي مثل في قوله: "كان تعلم المشي بالنسبة لي بمثابة تأشيرة للسفر"[1] ثمّ يقوم بوصف أزقة القصر كقوله: "لأجد نفسي في وسط زقاق ضيّــق مظلم فتحت في سقفه كوّة صغيرة ... إلخ"[2] بعدها يقوم بزيارة الجارات مع أمه. ويقوم بوصف السيد الحاج لعوج زوج جارتهم أمبيريكة ومعرفته بفنون الطبخ والذوق واللباس[3]، وعلاقته بالحرب العالمية الثانية وكان وصفه لتلك الأزقّــة بمثابة الشيء المدهش في البناء والصنعة مثل (السرداير، أحفير، حجرة الداندون قرقبوا، القنطرة).[4]

ثمّ بدأ الزيواني يصف لنا لعبة الغميضة، تلك اللّعبة التي أغرته والتي جعلته يترك يد أمه ويهرول مسرعا للعب مع تلك الصبية.

كذلك لعبة الحفيرة واندهاشه في ألوان الصبيان وأهل القصور، ثمّ يخبرنا عن الرجل التواتي التونسي الذي جاء يسأل عن والده والذي يدعى الغيواني وهم أبناء عمومه فجاءهم بالأخبار منذ خروجه من القصر (عام الجراد) وفي نهاية الزقاق يذكر لنا عن تسمية ابنته على اسم جدتهما "إميزار".[5]

---

[1] المصدر السابق، ص49.

[2] المصدر نفسه، ص49.

[3] المصدر نفسه، ص50.

[4] المصدر نفسه، ص51.

[5] المصدر نفسه، ص 55.

5- الزقاق الخامس من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق الخامس يبدأ من الصفحة 56 إلى غاية الصفحة 62، عدد الصفحات:07.

الراوي في هذا الزقاق استهلّ حديثه عن زيارة الولي الصالح عبد الله الرقاني نسبة إلى رقان والتي كانت بالنسبة إليه أول زيارة وأول حضور ضخم إلى جانب المولد النبوي الشريف بتيميمون، والذي كان يصادف 18 من شهر أفريل وفكّر والدي بختاني بمناسبة تلك الاحتفال مع الداعلي ولد مبارك ولد بوجمعة[1] وبدأت الطقوس الختان بحلاقة الرأس، كما يسمونها بالتواتية حلاقة (التقويريرة)[2] وبدأ الإنشاء بقولهم: "الله أمعا ولد سيد لسياد، الله أمعا ولد سيد الشيوخ، الله أمعا ولد سيد القبايل...الخ"[3] وكان يصف لنا خوفه من مرحلة الختان كقوله: "لست منزولا الموت بين العشرة نزاهة وفرحة..."[4] واصفا تلك المرحلة بالأمر الصعب والمخيف وفي نهاية الزقاق يستذكر لنا الزيواني الوليمة التي أقيمت في القصر احتفالا بهذه المناسبة السعيدة.

---

[1] المصدر السابق، ص 57.

[2] المصدر نفسه، ص 57.

[3] المصدر نفسه، ص58.

[4] المصدر نفسه، ص60.

6- الزقاق السادس من قصبة القصر الطيني

-الزقاق السادس يبدأ من الصفحة 63 إلى غاية الصفحة 71، عدد الصفحات: 09 .

يروي لنا الزيواني أنه بعد مرور شهر ونصف من ختانه قرّر والده دخوله إلى الكتاب (المدرسة القرآنية) والمسماة أقربيش.[1]

واصفا لنا اللوح المستعمل لقراءة القرآن يسمّونه باللغة التواتية صمصاد حليبة[2]، كما وصف لنا الرجل المسمّى سيد الدولة وهو أحد أبناء عمومهم والذي يكثر ذكره بالقصر لكونه المصدر الوحيد لإشعال النار ويخبرنا أيضا بالعادات التي تقام عند مرور بذلك المجلس فعلى المار احترام تلك العادات مثل نزع النعال وكراكب الحمار ينزل عن حماره، ثم يبدأ بذكر مراحل الدرس المقدّم على يد شيخه الحاج لكبير وتعليمهم للحروف وكان دخولنا للكتاب زادا ومعرفة ويذكرنا الزيواني بحفظهم للسور القرآنية وهذا كان مفرحا بالنسبة إليه مثل سورة آل عمران، يس، ....، إلخ وإقامة طقوس للاحتفال بدخولهم للكتاب كالطواف بالمقبرة والجهر بالبردة، كما تم التعرف على معظم السباخ. مثل السبخة الفوقانية، السبخة الكبيرة.[3]

وكما تم التعرف على مناسبة العرفة [4]، وفي نهاية الزقاق يتم التعرف على العادات التي تقام أثناء الطواف بالبيوت كقولهم: "بسم الله وهو خير الفاتحين "وتردّد دمعه الله آمين، ثم يقول بعدها "ليغفر الله لك ما تقدم وما تأخر من ذنبك"[5]، ووصف بيت الطالب أيقش على أنه بيت تسكنه الجان والعفاريت.

---

[1] المصدر السابق، ص64.

[2] المصدر نفسه، ص64.

[3] المصدر نفسه، ص69 .

[4] المصدر نفسه، ص69.

[5] المصدر نفسه، ص71 .

7- الزقاق السابع من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق السابع يبدأ من الصفحة 72 إلى غاية الصفحة 83، عدد الصفحات: 13.

استهل الزيواني في هذا الزقاق بإخبارنا عن مرحلة دخوله إلى المدرسة الابتدائية بسن الخامسة السنوات وثمانية أشهر وكان فارق العمر بالنسبة لسكان القصر بشيء بسيط والمهم أن يسمح لهم بفتح قسم للتعلم وفقط، أمّا التعليم للبنات فهو أمر محرم لا يسمح له بتاتا غير أن تعلمهم في الكتاب كان مسموحا وبدأ يصف لنا القسم الذي يدرسون فيه العشر أفراد من ذلك القصر وما جاوره كيف كان من حيث البناء، وماذا يوجد بداخله من مناضد، خزانة، مكتب، سبورة،.....إلخ. كان دخولي إلى المدرسة مفرحا بالنسبة لي كما تم ذكر مراحل دخوله إلى القسم كالاصطفاف، ووضع اليد اليمنى على الكتف الأيمن، إلقاء التحية على المعلم...إلخ وواصفا معلمه البشاري كما ذكر لنا مراحل التعليم الابتدائي كما يسمّونها cp1 cp2 ، ce1 ce2 أما المتوسط cm1 cm2[1]، كما ذكر لنا مضمون الورقة التي بعثت معه إلى البشاري للمدعو فرسواتيري[2]التي كانت بصدد إجراء تجارب نووية بصحراء رقان [3] و بعد مرور الأربع سنوات من المرحلة الابتدائية تأتي مرحلة التعليم للسنة الخامسة وصفا لنا تلك المرحلة بأدق التفاصيل مثل المبيت الداخلي، المصابيح الكهربائية، المراقب التربوي، المطعم، ...، الخ.

وفي نهاية الزقـــاق يخبرنا الزيواني عن إخلاص معلّـــمه البشاري وتكريم المدير له بسبـــب تفانيه في أداء واجبه المدرسي ونجاح المتمدرسين والانتقال إلى التعليم المتوسط المختلط بأدرار.

---

[1] المصدر السابق، ص75.

[2] المصدر نفسه، ص77.

[3] المصدر نفسه، ص77.

8- الزقاق الثامن: من قصبة العصر الطيني:

-الزقاق الثامن يبدأ من الصفحة 85 إلى الصفحة 92 وعدد صفحاته: 08 .

يخبرنا الزيواني في هذا الزقاق عن استعداده للتنقل إلى العاصمة أدرار لمزاولة تعليمه هناك واصفا لنا طول المسافة من قصورهم إلى بلاد الشمال يقول: "كان الوقت ضحى عندما غادرنا القصر باتجاه الشمال".[1]

كما يخبرنا عند الوصول إلى المدرسة تمّ استقبالهم بغداء بارد وكذلك أنه ركب ذوات الاربع لأول مرة في حياته من نوع 403 باشي[2]، واصفا لنا مدينة أدرار بأبوابها الأربعة باب رقان، باب تيميمون، باب بوبرنوس، باب بشار وساحة ماسينيسا الخضراء...إلخ[3] وكان فرحا لدخوله المتوسطة سوف يكون هناك أكثر تحرّرا من جميع النواحي واصفا لنا أساتذته في المتوسطة خاصة أستاذ التاريخ والجغرافيا وعند عودته في عطلة الصيف وجه القصر قد طرأت عليه تطورات عديدة مثل: أعمدة الكهرباء، المصابيح، مشتلة الطماطم، المهندس الفلسطيني[4] وفي نهاية هذا الزقاق يحدّثنا الزيواني عند أخته مريمو كيف تغيّر شكلها من الطفولة إلى الشباب، وأصبحت ملامح الأنوثة تظهر عليها يقول: "كيف كان حظها مؤسفا مآله البوار مثل قول أمها:"هذا ظهرك يا مريمو".[5]

---

[1] المصدر السابق، ص 86.

[2] المصدر نفسه، ص87.

[3] المصدر نفسه، ص 87، 88.

[4] المصدر نفسه، ص91.

[5] المصدر نفسه، ص92.

9- الزقاق التاسع من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق التاسع يبدأ من صفحة 93 إلى الصفحة 99 ، عدد الصفحات: 07.

يروي لنا الزيواني عن قانون الثورة الزراعية في ذلك الوقت والتغيّرات التي طرأت على مملكتهم بأنّه حدث معهم الذي صدر مرسومه بتاريخ 08-11-1972 والقاضي بتحديد ملكيّة الأراضي وتأميم باقي منها وتوزيعه على الفلاحين تحت شعار "الأرض لمن يخدمها"[1]. وبدأ الناس بتوثيق ملكياتهم والتصريح بها، وهذا الأخير للثروة الزراعية كان بالنسبة لأهل قصرنا بالصدمة والفاجعة المؤلمة لما اتخذته الدولة بمنح الأراضي البور لمن لا أملاك لهم وكانت من حظ خماسهم مبارك ولد بوجمعة. حظي بالسبخة الكبيرة.[2]

كما أخبرنا بمضمون الرسالة المبعوثة إلى مدير المتوسطة التي يدرس بها عن سبب تأخيرهم عن الدراسة يقول: "إنه من واجبي إبلاغكم بأنّ تلاميذ قصورنا قد تأخّروا بسبب انشغال السيارة الوحيدة للبلدية...".[3]

في نهاية الزقاق يتؤسف الزيواني على أن الثروة الزراعية عند مجيئها إلى قصورنا خلخلت أعمدة وأبراج قصرنا وقلبت عاليه سافله.

---

[1] المصدر السابق، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص95 .

[3] المصدر نفسه، ص98.

10- الزقاق العاشر من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق العاشر يبدأ من الصفحة 100 إلى غاية الصفحة 108 ، عدد الصفحات: 09.

يحدثنا الزيواني في هذا الزقاق عن عودة الغيواني الزيواني الذي رحل إلى تونس عام الجراد، وقد أسس عائلة هناك، واصفا لنا زوجته وإبنته وكل ما يهمه في هذا الأمر هو الفتاة التي تدعى "أميزار"، فقد زعزعت فؤاده وانشغال عقله بها كقوله: "الحب بدايته وإرهاصته الدهشة الأولى التي تسبق الاعجاب".[1]

كما حدثنا عن جارتهم إمبيركة على وفاة زوجها وكيف أكملت عدتها (الرابطة)[2] وكيف أصبح صديقا وفيا إلى ابنها عليليل. واصف الحضور الذي فرح بخروج جارتهم من الرابطة (العدّة) أمثال لالة زوجة سيد الهيب، الحسينة زوجة القنينة، ونانة عيشة زوجة أبا كريم.[3]

وفي نهاية الزقاق يخبرنا عن طقوس خروج المرأة من عدّتها بالعادات والتقاليد التواتية.[4]

---

[1] المصدر السابق، ص105 .

[2] المصدر نفسه، ص107.

[3] المصدر نفسه، ص107.

[4] المصدر نفسه ص 108.

11- الزقاق الحادي عشر: من قصبة القصر الطيني:

-من الصفحة 109 إلى الصفحة 115، عدد الصفحات : 06

في هذا الزقاق يسرد لنا الزيواني مراحل تعلمه، والتدرّج في فصوله الدراسة من مرحلة التعليم المتوسط إلى مرحلة التعليم الثانوي، ثم نيله لشهادة البكالويا التي اجتازها في "بشار"، كذلك تحدّث لنا عن تنقله من القرية إلى المدينة لاجتياز امتحان البكالويا، فقد كان امتحان البكالويا امتحان عادي، دون مشاكل تذكّر بالنسبة للزيواني، قد وصف لنا الزيواني حالة والديه عند حصوله على شهادة البكالوريا.

كذلك تحدث لنا الزيواني عند وصول سيد الغيواني مع زوجته منوبية وإبنته أميزار إلى القصر، ونغلقه بإبنة العم "اميزار" التي كانت ناكرة ونافرة منه وعن تلك الرسائل التي كانت يبعثها الزيواني إليها عبر البريد يقول: " ابنت عمي اميزار من أرض الزيوان...".[1]

فقد كان انتظار الزيواني فترة الصيف كاملة، حتى أتى الرد من أميزار، فقد كان الرد قاسيا على نفسية الراوي ومؤلما في نفس الوقت إذ تقول: "الزيواني، التواتي، تحية وسلام، لا يشرفني أن أحب واحدا من أهل زيوان أبي".[2]

---

[1] المصدر السابق، ص114.

[2] المصدر نفسه، ص115.

12- الزقاق الثاني عشر من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق الثاني عشر يبدأ من الصفحة 116 إلى غاية الصفحة 124، عدد الصفحات:09.

في هذا الزقاق يتحدّث لنا الراوي عن تنقله هو وصديقه القديم إلى العاصمة لمزاولة دراسته الجامعية هناك، وتخصّصه في دراسة التاريخ لكونه يحب هذه المادة منذ دراسته في المتوسط وكذلك حبه وشغفه وولوعه لمعرفة تاريخ القديم للمملكة الزيوان ومعرفة حضارتها وثقافتها، فقد وصف الزيواني حاله عند ذهابه الى العاصمة، وكأنه طائر الذي تحرّر من قفصه، كذلك تحدث لنا الزواني عن موهبته في الشعر حيث كان ينال الجوائز من خلاله في الفترة الدراسية بالمتوسطة بأدرار.

في هذا الزقاق يروي لنا الزيواني ويصف حالته النفسية المتعبة من "حب أميزار" ومساعدة عمته "نفوسة" له من خلال "الطالب أيقش" وضربت له بالمثل السائر في التوات إذ يقول: "اللي ما جابوا المكتبوب أيجيبو لكتوب"[1]، ثم تحدث لنا عن الحوار الذي دار بينه وبين الطالب "أيقش".

[1] المصدر السابق، ص120 .

13-الزقاق الثالث عشر من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق الثالث عشر يبدأ من الصفحة 125 إلى غاية الصفحة 135، عدد الصفحات:10

في هذا الزقاق يروي لنا الزيواني كيف بدأ جليد العداوة يذوب بينه وبين الداعلي شيئا فشيئا، نظرا لأفكاره الاشتراكية الشيوعية وعودة الزيواني من العاصمة بعد نيله لشهادة التخرج من جامعة التاريخ، ودعا الجامعة وسنواتها الأربعة يقول: "كم أنت جميلة يا بلاد سيد عبد الرحمان".[1]

التحاق الزيواني بوظيفة أستاذ التاريخ بثانوية أدرار، إتساع دائرة الثقة بالنفس لديه بعد نيله لشهادته، ومنصبه وثقافته، فهذه الأمور يمكن أن تكون سببا في القرب من "اميراز" وشفيعا لي في حبها، فبدأ والدي بمفاتحة الغيواني على أمر زواجي بأميزار إذ قال: "دقيقنا في رقعتنا يالغيواني". [2]

عودة أميراز ووالده خلال الطريق إلى المنزل، وكيف استقبل أفراد العائلة لأميزار إبتداءا بالعمة "نفوسة" ولوجا إلى أمه التي جهزت غرفة الضيوف لها، أم أخته "مريمو" فكانت منهمكة في تحضير الكسكس ، بعدها تناول الأب الشاي.

---

[1] المصدر السابق، ص126.

[2] المصدر نفسه، ص132.

14- الزقاق الرابع عشر من قصبة القصر الطيني:

-الزقاق الرابع عشر من الصفحة 136 إلى غاية الصفحة 138، عدد الصفحات: 03.

يتحدّث الزيواني في هذا الزقاق عن توديع العائلة لأميزار والهدية التي قدمها لها، التي تعكس ثقافة وحضارة أهل الزيواني وفرحة أميزار بها، وكذلك تحدث عن نقل أميزار إلى محطة المسافرين، وتحدث عن صديقه الداعلي الذي كان يركب سيارة من نوع مرسيدس فذهبت معه أميزار فكانت بذلك نسف لمشاعره وآماله وعشقه لأميزار يقول: "ساء حالي أكثر مما كان يسوء حالة عمتي من الجنون".[1]

وتنتهي الأحداث عند هذا الزقاق الرابع عشر.

[1] المصدر السابق، ص138.

الفصل الأوّل

التـــــــراث/الصحراء : مفاهيم ورؤى

المبحث الأول: ماهيّة التّـــراث

1-تعريفه: لغة واصطلاحا.

2-أنواعـــــه

3-عناصـــره

4-أهميّتـــــه

5-خصائصه

6-مصـــــادره

المبحث الثاني: الصحراء

1-تعريفه: لغة واصطلاحا.

2-مسميّاتها

3-خصائصها

4-الصحراء في كتابات الأدباء والشعراء

5-الصحراء في الأدب الشعبي

6-الصحراء عند الروائيين العرب

7-الصحراء عند الروائيين الغرب

المبحث الأول: ماهيّة التّـــراث

1-تعريف التراث: لغة واصطلاحا:

أ-لغـــــة: يرجع أصل لفظ التراث في اللغة العربية إلى مادة (و- ر- ث) وتجعله المعاجم العربية القديمة مرادفا (الإرث) و(الورث) و(الميراث) ، وهي مصادر تدلّ عندما تطلق اسما على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حسب.[1]

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور: "التراث من مادة (ورث) و(الوارث) من صفات الله عزّ وجلّ، والباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجلّ هو من يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين أي الباقي بعد فناء الكل(...). وفي حديث الدعاء لرسول الله -صلى الله عليه و سلم- أنه قال : «وإليك مآبي ولك تراثي» والتراث ما يخلفه الرجل لورثته ، وروى عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنّه قال: « اثبتوا على مشاعركم هذه، فإنّكم على إرث من إرث إبراهيم»، قال أبو عبيد: «الإرث أصله الميراث».[2]

أما معجم الوجيز فيعرّفه: على أنه مشتقّ من مادة < ورث > ،« ورث فلان المال، ومنه وعنه: يرثه – ورثا – وإرثا ، ووارثه، صار إليه ماله بعد موته، ويقال: ورث المجد وغيره ، ورث أباه ماله. وفي القران الكريم ﴿ وَأَوْرَثْنَا الأَرْضَ﴾، ويقال: أورثه المرض ضعفا والحزن همّا".[3]

وفي قاموس المحيط: "الإرثُ بالكسرة: الميراث، والأصل، والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول، والرماد، والبقية من كلّ شيء، والتأريث: الإغراء بين القوم، والإرث بالضمّ: شوك، والأرثة بالضمّ الأكمّة الحمراء".

---

[1] أحمد الحبشي، التراث، مفهومه وأنواعه، دار الثقافة والفنون، الجزائر، ط1 ،2023. ص10.

[2] ابن منظور، لسان العرب ،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ، مج 15 ط1، 2023، مادة: (و ر ث)، ص189.

[3] معجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، طبعة خاصة بوزارة التربية، 1994م، مادة: (و ر ث)، ص664.

وفي الدعاء لرسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: "اللهم أمتعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني، أي أبقيهما معي صحيحين سالمين حتى أموت".[1]

وفي معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: تراث بمعنى كل ما يخلّفه الميت لورثته.[2]

ب– الـتراث في القرآن الكريم:

وردت لفظ التراث في القران العظيم بمعنى "الإرث" و"الميراث" وفي مواضع مختلفة من صفحات المصحف الكريم منها: قوله عزّ وجل: ﴿**وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا**﴾[3] أي تضمّون نصيب غيركم إلى نصيبكم.

وقوله تعالى أيضا: ﴿ **ولله مِيرَاثُ السَّمَوات وَالأَرْض، وَالله بِمَا تَعْمَلُون خَبِيرٌ**﴾[4]

وفي قوله عز وجل في موضع آخر: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا [5] يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا[6]﴾[5]

والمقصود من هذا، توريث النبوّة والحكمة، دون المال، لأنّ المال لا قيمة له عند الأنبياء.

والتراث أصله "وراث" و قُلبت الواو ألفًا وتاءا لتيسير النطق بها، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاوُود ....**﴾[6]

وقوله أيضا :«... **وَوَرَثَهُ أَبَـوَاهُ ...**» [7]

فالتراث في القرآن المجيد: ما يورث من أمور ماديّة أو معنوية عن آخرين ماتوا: فهو انتقال من ميت إلى من يرثه.

---

[1] الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ، دار الحديث القاهرة، 2008، مادة: (و ر ث)، ص47.

[2] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008 مادة: (و ر ث)، ص2421.

[3] القرآن الكريم ، سورة الفجر، الآية 19.

[4] القرآن الكريم ، سورة آل عمران، الآية 180.

[5] القرآن الكريم ، سورة مريم، الآية (5و6)

[6] القران الكريم ، سورة النمل ، الآية 16 .

[7] القران الكريم ، سورة النمل النساء، الآية 11.

وعليه نلاحظ أن كلّ معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها، تتفق على المعنى اللغوي "التراث" مع ما جاء في القرآن الكريم ،فهو حصيلة ما تركه السابقون من مال، وعلم، وشرف ومجد للأجيال اللاحقة.

ب-اصـطلاحـــا:

لفظ التراث أُستعمل قديما في معنى الموروث الثقافي والفكري ، فهو حسب الجابري: « كل ما خلفه الماضي، لكنه بقي حيّا في الحاضر».

وفي تعريف آخـر له يقول - الجابري- بأنّـه: «كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، ماضينا نحن أم ماضي غيرنا، القريب منه أو البعيد».[1]

ويضيف أيضا: « أن مفهوم التراث، كما نتداوله اليوم إنما يجد إطاره المرجعي داخل الفكر العربي المعاصر ومفاهيمه الخاصة وليس خارجهما، فإلى هذا الإطار، وإليه وحده يجب أن نتجه باهتمامنا الآن».[2]

يعتبر محمد عابد الجابري التراث الموروث الثقافي والفكري والأدبي والديني والفني، وهو الحمولة التي أصبحت تحملها هذه الكلمة من خطابنا العربي المعاصر، ولم يكن حاضرا في خطاب أسلافنا ولا في حقل تفكيرهم، كما أنّه غير حاضر في خطاب أيّة لغة من اللّغات الحية.

و ترد لفظة "التراث" كثيرا في الشعر العربي، ومنه قول المتنبي:

« ولست أبالي بعد إدراكي العلا ** أكان تراثا ما تناولت أم كسبا»

فالمتنبي هنا يقول بأنّه بعد إدراكه معالي الأمور، فلا يبالي إن كان ذلك مكتسبا أو موروثا.[3]

---

[1] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، بيروت، 1996، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص27 .

[3] خديجة صبّار، مجلة التراث، كيف نقرأ التراث، مصر، 2023، ص103.

ويعرفه السعيد المصري يقول: "أنّ التراث هو المخزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال، وأنّه يمثّل الأرضية المؤثرة في تصوّرات الناس وسلوكهم، ومن ثمّ يكون حاملا للقيم وتجارب الشعوب في التغير".[1]

فالتراث في الحضارة بمثابة الجذور في الشجرة، فكلّما غاصت وتفرّعت الجذور كانت الشجرة أقوى، وأثبت وأقـدر على مواجهة تقلّبات الزمان.

فالمعارف المتعلقة بالتراث تنتقل من جيل الى آخر عن طريق الراوية، وقد يقوم كل جيل بإضافة أشياء جديدة أو حذف أشياء لتتوافق في النهاية مع واقع الحياة التي تعيشها، وهذا الإبداع ليس من صنع فرد ولكنه نتاج الجماعة ككل في مجتمع ما.

ويرى سعيد يقطين أن التراث مفهوم ملتبس "فهو يعني في مختلف الأبحاث التي تناولته كل ما خلفوه لنا قبيل عصر النهضة من جهة ويتحدّد زمنيّا بكلّ ما خلّفوه لنا قبيل عصر النهضة من جهة أخرى ، أنّ التراث نجده يتّسع، ليشمل كل الموروث المكتوب، والمحكي وكلّ الآثار التي بقيت من عمران وعادات وتقاليد ولها صلة وثيقة بالحقب الخالية».[2]

ويراه حسن الحنفي بأنّه: «مجموعة من التفاسير التي يعطيها كل جيل بناءا على متطلباته خاصة وأن الأصول الأولى التي صدر منها التراث يسمح بهذا التعدّد لأنّ الواقع هو الأساس التي تكوّنت عليه».[3]

---

[1] السيد القمني، الأسطورة والتراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ط3، 2012، ص17.

[2] سعيد يقطين، الكلام والخبر، مصر، ط1، 1997، ص47.

[3] حسن حنفي، التراث والتجديد، موقفنا من التراث ، مصر، ط5، 2002، ص13.

و يعرّفه السيد القمني: يقول "والتراث هو لغة: إرث موروث عن الأسلاف، تركوا لنا فيه ناتج خبراتهم ومعارفهم، لنصل إلى أنّ التراث كموروث، متطوّر، وفاعل ومنفعل دوما، إلاّ أن الناس هم صنّاع ذلك التراث يصوغونه وفق ظروفهم وحاجاتهم.[1]

والتراث كما عبر عنه أنطون مقدسي:"ليس شيئا قائما أمامنا وليس صنما نعبده، وإنّما هو ذاكرتنا تنادينا من الأعماق".[2]

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر لدى الباحثين والأدباء حول ماهية "التراث" إلاّ أنّنا نخلص إلى أنّ التراث هو خلاصة ما خلّفه الأجيال السابقة للأجيال الحالية لكي يكون عبرة من الماضي ونهجًا يستقي منه الأبناء الدروس ليعبروا بها من الحاضر إلى المستقبل. وهو مصدر احتكاك بين الشعوب والأمم وحصيلة التأثير والتأثر بين الحضارات إذ لكلّ أمة تراث يميّزها عن غيرها.

[1] سيد القمني، الأسطورة والتراث، ط، المركز المصري للبحوث، الحضارة، القاهرة، ط3، ص17 .

[2] محمد أحمد السمارائي، الأصالة و المعاصرة، كلية الآداب، الجامعة المنصرية، بغداد،ط2 ،1999، ص04 .

2- أنـــــواع التـــــراث:

لا يقتصر التـــراث على نوع واحد بل توجد أنواع مختلفة من التراث وجدت على مرّ العصور وبقيت مخلدة حتى يومنا هذا لتشهد روعة التراث، ومن هنا نستنتج أن التراث أنواع مختلفة نذكر منها:

أ-التـــــراث الشعبـــي: يتمّ تعريف التراث الشعبي على أنّه مجموعة الموروثات المعنوية والتي تشمل العادات والتقاليد، العلوم، الآداب والفنون التي تمّ نقلها من جيل إلى جيل وهي تعبّـر عن تفرد وتميّـز فئة عن أخرى في طريقة تأدية المناسبات المختلفة التي تحتوي على طقوس ومراسيم تسمّـى بالتراث الشعبي، وأمثالا شعبيّـة تعطي أصحابها تفرّدا وتميّزا على الفئات الأخرى، يعرّفه فاروق خورشيد بقوله: "التـراث الشعبي مصطلح شامل نطلقه لنعني به عالما متشابكا من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقوليّـة التي بقيت عبر التاريخ وعبر الانتقال من بيئة إلى بيئة، ومن مكان إلى آخـر في الضمير العربي للإنسان المعاصر".[1]

ويقول أيضا: "لتراث الشعبي إذن يضم الممارسات الشعبية السلوكية و الطقوسيّـة معا، كما يضم الفلكلور، والميثيولوجي العربية، ويضمّ أيضا الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي" [2] ، وهنا يتبيّن لنا أن التراث الشعبي هو إنتاج الشعب وملك له.

فالتراث الشعبي ملك للشعب أي أنّ مصدره هو الشعب، فهو مرآة عاكسة لحياتهم ومعيشتهـــم.

ب-التـــــراث الأدبـــي:

يتميّـــز التراث الأدبي بالشموليّة فهو يضمّ مختلف الأجناس الأدبية كالراوية، والقصة والحكاية والأمثال والحكم المتوارثة جيل عن جيل عن طريق المشافهة أو الرواية الشفاهية.[3]

---

[1] فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، سوريا، دمشق، ط1، 1992 م، ص12.

[2] المرجع نفسه ، ص12.

[3] أبو الحسن علي الحسني الندوي، نظرات في الأدب، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1990، ص28.

بل حتّى الأديب العربي أصبح يستثمر التراث في كثير من أعماله الأدبية والنقدية المختلفة، رغبة في إنتاج تجارب فنية متميزة، وهذا ما جعل التراث جزءا لا يتجزأ في تكوين المبدع العربي، لكونه مكوّنا من مكونات تجربته الأدبية.

التراث الأدبي العربي يشمل مجموعة واسعة من الأعمال الأدبيّة التي كُتبت باللغة العربية، كالشعر والنثر، فالشعر يمثّـل جزءا رئيسًا من التراث الأدبي لتأثره بالثقافة والتاريخ والدين الإسلامي.

فقد نشأت كتابات تعتبر حتّى اليوم من أعظم المؤلفات في الأدب العربي مثل: "ألف ليلة وليلة" و"ديوان الحماسة" و"روضة الشاهد" وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى وهذه الكتب الأدبية تمثل لنا العربية في جمالها الأول و نقائها الأصيل وسمعتها النادرة".[1]

فقد كان التراث الأدبي يشير إلى العمل الأدبي الذي تم إنتاجه، وكان يعتمد على اللغة العربية الفصحى، و يعبر عن القيم الثقافية والاجتماعية والدينية للمجتمع العربي.

الأدب والتراث يشكّلان جزءا أساسيا من الثقافة العربية، ولا يمكن فصل أي منهما عن الآخر، فالأدب العربي يعتمد بشكل كبير على التراث الثقافي واللّغوي العربي، فأُعتبر الأدباء الكبار من أهمّ المحافظين على التراث، وبشكل عام فإن العلاقة بين الأدب والتراث علاقة عميقة، وذات معنى ولها تاريخ غني وتأثير مستمر، فيقول علي عشيري: "ولا كان الأدباء، والعلماء في كل أمة هم وجدان الأمة، وضميرها وعقلها، لم لكن غريبا أن يكونوا هم الذين نهضوا بعبء إحياء هذا التراث فاستمدت هذه الأمة إحساسا قويا بشخصيتها وكيانها.[2]

---

[1] المرجع السابق، ص30.

[2] علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، مصر، ط 2 1997، ص39.

ج-التراث التاريخي: التراث التاريخي هو هوية كلّ أمّة إذ يرتبط بالحاضر والمستقبل كونه يعرّفنا على أهم الإنجازات التاريخية والحضارية في مختلف المجالات وعبر مختلف الأزمنة والعصور، فالتراث التاريخي، إذن كلّ ما يتعلق بالتاريخ وما وقع فيه من أحداث، وتصوير للشخصيّات التاريخية البارزة التي كانت لها صدى عبر التاريخ وهذا ما ذهب إليه علي عشيري في قوله: "وتكتسب أصالة وعراقة بإكسابها هذا البعد الحضاري التاريخي".[1]

فكان الأديب العربي يلجأ إلى التراث التاريخي ويعتمد عليه في كتاباته ويقول على عشري: "إنّما للجأ إلى كل المصادر التراث، فحفل شعره بالإشارات الأسطورية، الدينية، والتاريخية إلى جانب استرفاده للتراث الشعري".[2]

كما أنّ كثيرا من الشخصيّات التاريخية والدينية قد انتقلت إلى التراث الشعبي أو التراث الأسطوري فأصبحت من الشخصيّات الشعبية أو الأسطورية، بينما هي في الوقت نفسه شخصيات تاريخية.[3]

إنّ الالتجاء إلى التراث، والاحتماء بالتاريخ يعتبر رد فعل طبيعي لحماية الحالة النفسية للأمّة من الانكسار، والشخصية الحضارية التاريخية منن الذوبان من مراحل المواجهة الأولى.[4]

يشكّـل التراث مكوّنا أساسيا "للشخصية العربية الحضارية" كونه يمثّـل عمق الأمة في التاريخ، وأصالتها، ومستواها الإبداعي الذي أغنت به الحضارة الإنسانية.

---

[1] المرجع السابق، ص 18.

[2] الرجع نفسه، ص29.

[3] المرجع نفسه، ص74.

[4] أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، سلسلة فصليّة، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعيّة والشؤون الدينيّة، ط1، ص10.

التـراث حياة وثورة وحضارة عرفه العرب في الماضي، وهو البعد التاريخي الذي يشكّل جزءا مكونا لشخصيتها الفردية والاجتماعية، فالعودة إليه تعني تجديد الصلة بما هو حي منه.[1]

د-التـــراث الديني: تشكّـل الحضارة الإسلاميّة مثالا واضحا على روعة التراث الإسلامي الموجود في مشارق الأرض ومغاربها ليحضى بتأثير كبير بين كل الحضارات، فيعدّ التراث الإسلامي من أطول أنواع التراث التي بقيت حتى وقتنا الحالي، لما تتمتّع به من مميّـزات تمزج بين العقل والروح وتهتمّ بكل واحد منهم على حدا.

ومـن أمثلة الحضارة الإسلاميّـــة ما ظهر في بلاد الشام وبغـــداد من علوم وآداب وفنون، كذلك لا ننسى الدولة العثمانيّة التي تعد مثالا على روعة الحضارة الإسلامية.

كذلك أنّ التراث الديني هو مصدر أساسي في استلهام العبر حيث يعكف الأدبـــاء على استنبـــاط قصصـــــهم من القرآن الكريم والسنة النبويّة ثمّ يوظّفونها في أعمالهم الأدبيّة والروائية، لاستخلاص العبرة منها، لقوله تعالى:﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾.[2]

---

[1] محمد أحمد السامرائي، الأصالة والمعاصرة، كلية الآداب، بغداد ،ط3، 1999، ص04.

[2] القران الكريم، سورة يوسف، الآية03.

3- عنـاصـــــر التـــــراث:

ينقسم التّراث إلى قسمين وهما: التراث المادي والتراث اللامادي:

أ-التراث المـــــادي: يشتمل على الآثار والمباني والأماكن الدينية والتاريخية والتحف من منشآت دينية وجنائزية كالمعابد والمقابر والمساجد والجوامع، ومبانٍ حربية ومدنية مثل:الحصون والقصور، القلاع والحمامات والسدود والأبراج والأسوار، وهذا ما ذهب إليه د.علي شطي يقول: "وما يبقى قد يكون ماديا، كالآثار والنقوش والعادات والتقاليد والألبسة ...."[1].

ويكون علم الآثار والهندسة المعماريّة والعلوم أو التكنولوجيا هو المعياريّة الواضحة لهذا التراث. ويتم الحفاظ عليها لدراسة تاريخ البشرية وهذا ما ذهب إليه د. حسام الدين طاهر يقول: "فإننا حين نتعامل مع تراثنا ينبغي أن نضع في الاعتبار ذلك الجهد الكبير الذي بذله أسلافنا في سبيل إقامة هذا الصرح العظيم الذي ورثناه عنهم، وأن نقدّر إسهامات للأجيال المتتابعة في تمكينه وإرساء قواعده على أسس متينة من المناهج العلميّة الحكمة، والقوانين الفكرية الضابطة وإلاّ فالمبادرة بالهدم عند امكانية الترميم حيث لا يقوم به إلا السفهاء، لا سيما إذا كان البناء محكما".[2]

ومن هنا يجب أن نكون جديرين بحمايتها والحفاظ عليها بشكل أمثل لأجيال المستقبل.

---

[1] علي شطي، التراث الثقافي المادي والغير المادي، دار ومضة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ط1، 2011 ، ص09.

[2] حسام الدين طاهر عبد المنعم، مع التراث، قسم الثقافة الإسلامية مصر ، ط1، ،1996، ص15.

ب- التراث اللامادي أو التراث المعنوي:

يقصد بعبارة " التراث الثقافي غير المادي "الممارسات والتقاليد والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي نعتبرها جماعية والمجموعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمّي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزّز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشريّة، إذ يقول عبد الحميد يونس: "التراث الشعبي هو القوام الثقافي الموصول في الشعب".[1]

ويتجلّى التراث الثقافي الغير المادي بصفة خاصة في التقاليد وأشكال التعبير الشفهي بما في ذلك اللغة، الفنون وأداء العروض، الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات المعارف المتعلقّة بالطبيعة والكون المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

ويشكّل التراث غير مادي عاملا مهما في الحفاظ على التنوّع الثقافي في مواجهة العولمة المتزايدة، ففهم التراث الثقافي غير مادي للجماعات المختلطة يساعد على الحوار بين الثقافات ويشجّع على الاحترام المتبادل لطريقة عيش الآخر، ولا تمكن أهمية التراث الثقافي غير المادي في مظهره الثقافي بحد ذاته وإنّما في المعارف والمهارات الغنية التي تنتقل من جيل إلى جيل آخـر.

ويقول د. صلاح الجبوري: "ومن مميّزات التراث غير مادي أنّه عابر للزمان والمكان يربط بين ما هو تقليدي ومتوارث وما هو معاصر وحي".[2]

---

[1] عبد الحميد يونس، التراث الشعبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط ،1979، ص03.

[2] صلاح الجبوري، التراث الثقافي اللامادي لبدو العراق في بادية غرب نهر فرات، العراق، 2022، ص06.

4- خصائص ومميّزات التراث:

إنّ التراث ثروة كبيرة يمكن لنا أن نتأمل مجموعة من الخصائص والمميّزات نذكر منها:

- وظّف الأديب المعاصر التراث في الكثير من الأعمال الأدبية حيث نجده حاضر بقوة في المسرح والقصة والرواية، حيث أصبح استلهام التراث وتوظيفه ضرورة في عملية التجريب الفني ومكون أساسي من مكونات العمل الأدبي، وهذا ما ذهب إليه د.السعيد الورقي بقوله: "ولقد كانت فكرة إحياء التراث والنشاط فيه، فكرة قومية قبل أن تكون فكرة علمية".[1]
- التراث يحمل في طيّاته العادات والتقاليد الاجتماعية والقيم السائدة لأمّة ما " فهو الأداة الفعالة للتعبير الصادق عما ساد أو يسود مجتمع ما".[2]
- فالتراث يعكس الخصوصية والعفة والتسامح والجمال وهي كلها قيم أصلية والأهم من ذلك أن هذه القيم تعكس الصدق والشفافية.
- التراث تجريبي أي قائم على المعتقدات والتجارب وليس على الحجج المنطقية أو العلمية.
- التراث مجموعة من المعارف التقليدية التي تتميز بها الشعوب عن الأخرى.[3]
- نقل المواقف التاريخية لمجموعة اجتماعية معينة، والتي يمكن الحفاظ عليها لعدة أجيال من خلال الفن والأدب، والنحت والموسيقى.
- التواتر الزمني للتراث أي التنقل من جيل إلى جيل آخر، وهذا يضمن التصديق للتراث عبر الأجيال.

---

(1) السعيد الورقي، في مصادر التراث العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص8.

(2) حسن حنفي، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم ، ص 27 .

(3) خديجة بلخرشوش، تجليات التراث في رواية "رمل المادية"، مذكرة ماستر، جامعة 08ماي1945، قالمة، 2017-2018، ص27.

5- مصـــادر التراث:

تعدّدت وجهات النظر حول مصادر التراث وتباينت ولذلك فإننا نرى أن المصادر التي يمكن اعتصارها والاستفادة منها نظريا أو ميدانيا هي كما حددها محمد عيلان كالتالي:[1]

* **الآثـــــار**: وهي مجموعة من المتاحف وفي الطبيعة أو تحت الردم، وما هو ظاهرة منها مصنف حسب العصور والجماعات والبيئات وتشمل منجزات الإنسان الجزائري المادية والحرفية والمصنوعات البحرية والحجرية والخشبية والفخارية والطينية، وآلات الصيد البحري والبري، والآلات التي ساعدت على انجازها أو تلك التي أنجزت منها، والتأثيرات الحضارية الأجنبية أو المحلية من عمق التراث الجزائري، ويضاف إلى ذلك الإبداعات الشعبية الجماهيرية المتنوعة التي تتواصل عبر العصور وتبدو أثارها في هذه المنجزات أو مترسبة بدت أفكارا تتداول عبر الأجيال والباحث الميداني لأبد له من زيارة المتاحف باستمرار، والاطلاع على الآثار في الطبيعة.ـ

* **إشارات المؤرخين:** المعروف عن المؤرخين أنّ مصادرهم ثلاثة أنواع:

- أ- المصادر المكتوبة.
- ب-المصادر الشفوية.
- ج-المشاهدة والمعايشة للأحداث والواقع، ولذلك فإن معلومات بعضهم يغالب عليها الميول الشخصية أو الإيديولوجية، وهي عوامل قد لا تكون مرضيّة للباحث عن حقيقة ما في ثنايا أخبارهم، إلا أنها مهمة، ويجب إخضاعها لمنطق التاريخ.

[1] محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار النشر والتوزيع عنابة، 2013 ، ص من 17 إلى 40.

* **إشارات الرحالة:** يعتمد الرحال على مصدرين:

ـ أحدهما: المشاهدة والتدوين للمعلومات، وهذا المصدر يحكمه التأثر الشخصي وتأثير العادات والتقاليد و المعتقدات للرحال.

ـ و الثاني: الأخبار المنقولة، وهي أيضا إما شفوية رواها له المتلقي لهم ممّن يعيشون في المناطق التي لم يزرها، أو رواها له تجار أو مسافرون عابرون، لأن أخبار الرحالة يغلب عليها الوصف من غير التحليل أو المقارنة، إلا أنّها توفر معلومات تتمثل في:

أ. **تحديد المسالك والطرق والمواقع والأماكن الجغرافية:** والمراسي والموانئ والطرق التجارية والبحرية والبرية، وكذا نظم الاتصال، ومن ذلك ما يذكره البكري عن الطريق البحري الذي تسلكه السفن.

ب. **التعرّف على المنطقة بكل خصائصها الجغرافية والثنية:** وعوامل الطبيعة المؤثرة في الاقتصاد وحركة التجارة والتبادل. ومن ذلك مثلا قول كريخال عن مدينة عنابة.

ج. **الرحالة يقدمون وصفا للمعتقدات والخرافات والأساطير:** الموجودة في المجتمعات التي مروا بها أو زاروها وعرفوها معرفة دقيقة.

د. **نظام التغذية والتغذى:** وأشكالها وألوانها، ومدى استفادة المجتمع من منتوجات البيئة وتطوير النظام الغذائي وتقاليده.

* **المشغولات اليدوية:** وتتمثل المشغولات والحرف والمهارات فيما يلي:

1. الفنون التـطبـيقيّـة.
2. الفنون الجمالية بقسميها.

* **العادات والتقاليد وأسس المعاملات اليومية:** الناشئة والمترسبة التي بعضها منحدر من معتقدات بدائية وتحول إلى ممارسات طقسية سنوية، احتفالية مثل بعض الطقوس المعروفة، كطقوس العروس، وطقوس النفاس، طقوس العلاج الروحاني المتأثر بالثقافة الزنجية.

وهي قلة المأثورات الشفوية وما يمكن أن يقال عنها فإن هناك ثراء واضحا مترسبا في العادات والتقاليد والممارسات المنحدرة من عمق الزمن والمتراكمة عبر التاريخ في الثقافة الأمازيغية.

* **المعارف الشعبية والأفكـار والمنقولات العقلية:** وما يتعلق بتراكمات التجارب العقلية الفلسفية، وكذا التراكمات النقلية التّي لها صلة بالنقل عن طريق التقليد والإضافة بهذه من المعلومات المترسبة المتراكمة، التي ورثها السكّان المحليون عن المناخ وتطوراته وأثره عبر الفصول وأثره على الإنســان والحيوان.

* **طرق الترويح وإزجاء أوقات الفراغ والرّياضة:** المصارعة التي تسمى (المعافرة والمغالبة والعراك)، وكذا رياضة السيوف ورياضة السباحة والغطس... والمهارات الشعبية الفردية والجماعية، وكذلك الألعاب الأخرى الذهنية غير الجسدية فإنّها كلها مصدر من مصادر الابتكار الشعبي في مجال التسلية وصلة بذلك بتطور المجتمع.

* **تنظيم التعليم:** وأسماء المعنيين بذلك كالقداش، الطالب، الفقيه...، ويمكن تتبع قابلية المجتمع للثقافة والبحث من المعرفة الأخرى وتلقينها للأبناء، وذلك من خلال أماكن التعليم منذ القدم وفي العهود الإسلامية وتوزيعها ورغبة الناس فيها.

* **صناعة أدوات التجميل مكوناتها وأدواتها والنظر إليها:** وهنا تبدو الأشجار وجذورها وأغصانها وبعض المكونات من التربة والمعادن والأخشاب كصناعة الموارد وإعداد المستخلصات من أغصان الأشجار مثل: استخلاص مادة "الحرقوس" من غصن شجرة الصفصاف.

* **التعاليم الدينيّة التي عرفها الوطن:** ودرجة الإيمان بها وأثرها على السكّان عموما وبالعودة إلى التعاليم الدينية التي عرفتها الجزائر نجد أربع ديانات رئيسية:

- تعاليم الديانة الوثنية.
- الديانة المسيحية.
- اليهوديـــــــة.
- الديانة الإسلامية.

* **الأنظمة والتشريعات:** أو ما يعرف بالقوانين التي استندتها المجتمعات عبر تاريخها، وهذه الأنظمة مصدر للباحث الذي يكتب ويتابع التاريخ الثقافي لمجتمع ما، لأنّ الأحكام في الأصل أحكام عقابية أو جزائية لسلوكات الأفـراد في علاقاتهم ببعضهم أو علاقاتهم بالسلطة أو المحيط، أو علاقاتهم بالآخر. ولمعرفة ظاهرة الخوف من العدالة ودراستها لا بـــد من العودة إلى القوانين التي كانت وراء هذه الظاهرة النفسية المترسبة.

ويقـــدر معرفة الأحكام بقدر تبين الوضع النفسي والإجتماعي، ودرجة الوعي في المجتمع كما أن القوانين تتيح معرفة درجة النضج الحضاري الذي في ضوئه تتجدد الإبداعات الثقافية التي تساير أو تعادي أو تهادن القوانين والأنظمة.

* **كتب الفقهاء والمفسّرين والمتصوفة:** وغيرها، فإنه قد ورد على هامش مؤلفاتهم إشارات لها صلة بالتراث الشعبي وإن لم تقصد العناية به، وخاصة ما ورد عند الفقهاء ممّا عرف بالعرف.

6- أهميّـــة التــراث:

إنّ أهميّــة التــراث تأتي من كونه العين الكاشفة عن مزايا الأمة في عصور غابرة لم تكن تعرف عنها شيئا لولا أن التراث قد أوصل إلينا تلك الصورة المكتوبة أو الشفوية التي تأخذنا معها بعيدا، حيث نلتقي بعظماء الأمة الذين رسّخوا تاريخها الزاهي الذي ما تزال آثاره باقية تشهد على عظمة الرجال الذين وصلوا النهار بالليل حتّى يصلوا إلى ذرى العلياء فيخيطوا أسمائهم على جبين الأيام فلا تُمحى أبدا بل تبقى شاهدة على كل حرف كتبوه أو كل حرف قد تعلّموه وعلموه، وعلى كل قطعة من الحجر خطوا عليها أعظم إنجازاتهم الحضارية والفكرية، إنّ التراث هو الهوية الثقافية للأمة والتي من دونها تضمحل وتتفكّك داخليّا... .[1]

قد نقف عند كتب التراث فنلاحظ أنها تثبّت على حضارات راسخة قد رسمت اسمها في كتاب الأيام، ففي كتب التاريخ القديمة نرى تاريخ البابليين والسومريين، وغيرهم من أهل الحضارات التي نمت ونشأت البلاد العربية.

إنّ تراثنا العربي بقدر ما هو سند لشعبنا وأمّـتنا في مرحلتها التاريخية الراهنة، فإنّه يشكل تحديا لواقعنا و لأجيالنا في آن واحد.

التراث يبرز أهمية الفرد والإنسان، دون التقليل من أهمية الجماعة ومصلحتها وقوتها وتنظيمها، فهو أيضا يمنح الشعوب الحيوية والشروع إلى دفع المجتمع في طريق التطور والتقدم من خلال اكتشاف حقيقة ذلك التراث. [2]

يمنح التراث البلدان الحالية رونقا خاصا يجعلها وجهة لسياح من جميع أصقاع الأرض، ولعلّ بلاد المشرق هي مهد الحضارات.

---

[1] أكرم ضياء العامري، التراث والعاصرة، ، ص35.

[2] محمد أحمد السامرائي، الأصالة والمعاصرة ، ص04.

إنّ التراث هو الحضارة التي تعيش في ذاكرة الأحفاد، هو التاريخ الذي يعكسه في الآثار الباقية منه، التراث يعني أن نلمس أرواح القدماء بما تركوه لنا من علوم و فنون وآداب شاهدة على تقدمهم في كل مجالات الحياة، إن التراث أشبه بالعودة في الة الزمن الى الوراء ومحاولة الإضاءة على انجازات السابقين والاستفادة منها، وهذا ما ذهب إليه محمد الجابري في قوله:"هكذا يقتبس العرب جميعا مشروع نهضتهم من نوع الماضي".[1]

إنّ المكتبة العربيّة هي أهم جوانب التراث الإسلامي، وقد كُتبت أعظم المؤلفات لغة أدبية ورفيعة مما يرتفع بالذوق الأدبي والثروة اللغوية للقارئ.[2]

[1] محمد الجابري، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص14.

[2] أكرم ضياء الدين، التراث والمعاصرة، 2013، ص36.

المبحث الثاني: ماهية الصحـــراء:

1- تعريف الصحـــراء لغة واصطلاحا:

أ-لغـــــة: تجمع المعاجم العربية على أن تعريف الصحراء يتفق مع ما ورد في لسان العرب لابن منظور فالصحراء « من صحر وهي الأرض المستوية في لين وغلظ القف وقيل هي الفضاء الواسع ومن خلال تعريف ابن منظور تعتبر الصحراء الأرض المستوية لا نبات فيها واسعة الفضاء وقد شبهها بالدابة الأجرد لأنه لا توجد بها لا نبات، لا شجر، لا جبال وأصحر القوم أي برزوا في الصحراء وأصحر الرجل نزل فيها ... ».[1]

وهي عند الفيروز أبادي " لفظة صحراء"، ج صحاري وصحارى وصحراوات وجاءت مشدّدة في قوله :

" وقد أغدو على أشقار * يجتاب الصحاريا"** [2]

وجاءت في تعريف الزبيدي ،في تاج العروس: «اسم سبع مجال الكوفة ومحل خارج القاهرة»[3]

ويقول فيها عبد الله البستاني على أنها من « صحر، صحرا، أصحر في لونه، أصحر القوم ظهروا في الصحراء وبرزوا على الفضاء، ولا يواريهم شيء والمكان اتسع أي صار صحراءا والرجل إذا عور، الصحر محركة غبرة في حمرة خفيفة الى بياض قليل». [4]

بعد هذه التعريفات ، نلاحظ أنّ الصحراء هي تلك الفضاء الواسع الذي يفتقر إلى الماء والنبات التي تنعدم فيها مظاهر الحياة ممّا يجعل العربي ينتابه الخوف من العيش فيها.

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ص ح ر)، ص 202.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط ،مادة: (ص ح ر)، ص.301

[3] الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر، ، مج7، ط1، 1994، مادة: (ص ح ر) ص77.

[4] عبد الله البستاني، معجم الوسيط، مكتبة لبنان بيروت، ط1، 1990، مادة (ص ح ر)، ص363.

الصحراء وردت أيضا في معجم الصحاح بمعنى البريّة: "وهي غير موصوفة وإن لم تكن صفة .، وأصل الصحاري بالتشديد وقد جاء ذلك في الشعر، وأصحر الرجل، أي خرج إلى الصحراء، والصُحرة هي لون الأصحر وهي الذي في شعره قشرة، وحمار أصحر فيه حُمرة وأصحار البنت اصحرارا، أي هاج والمصاحر الذي يقاتل قرنه في الصحراء ولا يخاتله، والصحيرة الليل الذي يلقى فيه الرضف حتى يغلي ثمّ يصبّ عليه السمن فيشرب وربما درّ عليه الدقيق فيتحسّى تقول منه صحرت اللبن أصحره صحرا".[1]

وعليه يتبيّن لنا أن الصحراء في معاجم اللغة العربية القديمة لا تخرج عن المعنى الواحد ألا وهو المكان الواسع القحط الذي لا يتراءى للنّاظر فيه إلاّ مساحات من الاصفرار الشاسع أو الجبال الجرداء التي لا حياة لها أو إخضرار على سطحها.

ولا تختلف المعاني الحديثة عن القديمة فقد ورد في معجم الجامع أنّ لفظة صحراء اسم جمعه صحار، صحاري، صحروات، وهي أرض فضاء واسعة فقيرة للماء ، وبذلك الصحراء تشير إلى الخواء وانعدام الحياة على أرضها القاحلة والشاسعة على مدّ البصر.[2]

وترى بوقفة صبرينة في مقالها الموسوم بتمثّلات الصحراء في الشعر الشعبي الجزائري بـأنّ لفظة الصحراء وردت لفظ مستتر يدلّ على المعنى الحقيقي لهما في قوله عز وجل:"في **سورة الأحقاف الآية 21** ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.[3]

---

[1] بوقفة صبرينة تمثيلات الصحراء في الشعر الشعبي الجزائري، ابن قيطون ،قصيدة حيزية، جامعة تبسة،2021/11/04، ص 875.

[2] المرجع نفسه، ص876 .

[3] القران الكريم سورة الأحقاف، الآية21.

وقد شرحها بناء على تفسير الطبري يقول: "وأذكر يا محمد لقومك الرادّين عليك ما جئتم به من الحق هو أخا عاد فإنّ الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد فخوفهم بأن يحل بهم من نقمة الله على كفرهم ما حل بهم إذ كذّبوا رسولنا هودا إليهم إذ أنه أنذر قومه عاد بالأحقاف جمع حقف وهو من الرمل ما استطال ولم يبلغ أن يكون جبلا، ومن هنا يتبين أن الصحراء ذكرت في القران الكريم غير مصرح بها لفظا وإنما بالمعنى الدال عليها.[1]

فالأحقاف: وردت في معجم الوسيط بمعنى الرمال الطويلة المعوجّة التي لا يتراءى للناظر في الصحراء إلاّ حبيبات الرمل المتراصة تذروها الرّياح كيفما تشاء.

يتّضح لنا من خلال هذه التعريفات للصحراء: أنها المكان الواسع الذي تنعدم فيه كل مظاهر الحياة، عند الوقوف والنظر إليها لا ترى إلاّ الكثبان الرمليّة تشبه لون الذهب في اللمعان وشساعة المكان الذي يدل على الرهبة والخوف والتيهان.

ب-تعريف الصحراء اصطلاحا:

تعرف الصحراء على أنها « منطقة جغرافية قاحلة تمتاز بندرة الأمطار تصل نسبة الأمطار فيها أقل من 25 ملم سنويا فإن بذلك ظروف الطقس فيها معادية للحياة الحيوانية والنباتية بسبب انعدام النباتات المثمرة الموسمية وقلة منسوب المياه ويعرف العلماء الصحراء بحسب كمية الأمطار ».[2]

---

[1] الطبري جامع البيان في تفسير القرآن، ومؤسسة الرّسالة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ج6، ط5، 1998، تسير آية الأحقاف- الآية 21.

[2] ساجدة أبو صوي، تعريف الصحراء، على الموقع: https//www.almawdou.com، 02 يونيو 2018، 07:11سا.

وتعرف أيضا على أنها : "المنطقة الجغرافية التي يخلو ويندر فيها النبات ، فالصحراء تعريف نباتي لا مناخي ويقل فيها تساقط الأمطار ولذلك تقل فيها الحياة".[1]

ويعرفها خليفي مصطفى بـأنها .: "كل منطقة لا تسقط فيها الأمطار أكثر من 250 ملم سنويا وتمتاز بمناخها القاري ففي كثير من الأحيان حارة نهارا و باردة ليلا".[2]

أما سعد الضناوي في تعريفه للصحراء فيقول: "إلى جانب القحط والجدب والحر هناك عامل آخر وهو البرد الشديد الذي يصل إلى درجة الهلاك كذلك تضاريسها الصعبة التي تؤدي إلى الضياع وتوهان السائر فوق أرضها، إذن الصحراء بيئة قاسية أرضها وعرة تعسّـر على السائر ضنينة تبخل على الطالب بالعطاء اليسير.[3]

وفي تعريف لميشال روكس أنّ الصحراء هي: "الفضاء الصحراوي يمثل لا فضاء تكسوه ايحاءات سلبية فهو الرتابة والسقم لا يتمتّع بالجمال والعظمة وهو عكس الطبيعة، أي ألاّ طبيعة فهي تدل على العدم ومعاناة حيث الظمأ وأخطار التيه ولسعات العقارب والأفاعي.[4]

---

[1] زينب بضياف، دلالة الصحراء في رواية صحراء الظمأ لخضر السايح، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014|2015، ص12 .

[2] خليف مصطفى غرايبية، السياحة الصحراوية، تنمية الصحراء في الوطن العربي، دار النشر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 ، 2012، ص 20 .

[3] جنات زراد ، المتخيل الصحراوي في الرواية العربية، مخبر الآداب العام والمقارن، عنابة ، 2015/2014، ص55.

[4] Michel rox le désert de sable l'harmanttant. Paris, 1996, p 10 نقلا عن: مقداس رزيقة، صورة الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، 2021-2022.

يتّضح لنا من خلال هذه التعريفات للصحراء: أنها أرض جدّ واسعة وخالية من مظاهر الحياة وموحشة وقاسية المناخ، فقيرة جدا بإنتاجها الزراعي والحيواني لكن اليوم ينظر اليها نظرة خاصة بأنها جزء لا يتجزأ من هذا العالم فهي غنية بثرواتها الطبيعية وفضاءها الواسع وأصبحت وجهة لجميع العرب والأجانب من جميع الأقطاب خاصة العرب الشعراء والروائيين، والنقاد، والأدبيين، كما طبعت لديهم انطباع التأمل والتفكير والتزهد فهي موطن الدين والأساطير والحكايات والخرافات.

2- مسمّيات الصحراء:

ورد ذكر الصحراء في المعاجم العربية بعدة مسمّيات نذكر منها كالآتي: البرية[1] والبيداء[2] في معجم القاموس المحيط للفيروز أبادي. أما الفدفدة[3] والفيفاء[4] والسهب[5] والتيهاء[6] لسان العرب لإبن منظور.

جميع هذه المصطلحات التي سمّيت بها الصحراء جعلت من العربي يهتم بها اهتماما كبيرا لدرجة أنه وضع لها عدة مسميات ومفردات تدل على مصطلح واحد وهو الصحراء العظيمة.

3- خصائـــص الصحـراء:

1.3-المنـــاخ: ينقسم المناخ الصحراوي إلى قسمين: مناخ صحراوي حار ومناخ صحراوي بارد.

---

[1] الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، مادة: (ب ر ي)، ص 285.

[2] المرجع نفسه، مادة: (ب ي د أ)، ص 385.

[3] ابن منظور، لسان العرب مادة (ف د ف د)، ص 33664.

[4] المرجع نفسه، مادة: (ف ي ف)، ص319.

[5] المرجع نفسه، مادة: (س ه ب)، ص476.

[6] المرجع نفسه، مادة: (ت ي ه)، ص89.وأنظر أيضا: رجاء مكاحلية ، هدى بوعلاق، تجليات الصحراء الجزائرية في الرواية الغربية، رواية ليلة النار، لإيريك إيمانويل شميت، مذكرة ماستر، 2020- 2021، ص32.

1.1.3-المناخ الصحراوي الحار: ويسمّى هذا النوع من المناخ بالمناطق شبه استوائية مناخها حار جدا وجاف ومشمس طيلة العام تبلغ درجة الحرارة القصوى 400° وقد تنخفض في الليل إلى نقطة التجمد.[1]

2.1.3-المناخ الصحراوي البارد: توجد هذه النوع في المناطق المعتدلة ولها صيف حار وجاف، أما الشتاء بارد جدا وجاف، كما أنه يفتقر إلى الثلج وتعتبر صحاري هذه المناطق أكثر جفافا من الصحاري الحارة.[2]

3.1.3- التربة: تتميز التربة الصحراوية بأنها شديدة الجفاف تحتوي على الكثير من المعادن وصعوبة في زراعتها، ولها عدة أنواع نذكر منها التربة الرملية، التربة الطينية، التربة الطباشرية، التربة الطيبية.[3]

4.1.3-النباتات الصحراوية:

تنقسم النباتات الصحراوية إلى نوعين: المعمرة والسريعة الزوال، فالمعمرة تدوم من سنة إلى أخرى وهي مكيفة مع الرطوبة بسيقانها وأوراقها الشمعية، أما السريعة الزوال قد تنمو بين الفنية وأخرى تستطيع هذه النباتات البقاء كامنة في التربة عدة سنوات وحين يهطل المطر تنبت من جديد.[4]

5.1.3-أنواع النباتات الصحراوية:

نخلة الصحراء، نخيل التمر، نبات الصبّار، الإجاص الشائك، صبار البرميل،صبار القنفذ، القطيفة الصحراوية، صفصاف الصحراء، زنبق الصحراء، اللبلاب السام، الزعتر، الدفلى، ملعقة الصحراء. [5]

6.1.3-الحيوانات الصحراوية:

---

(1) دنيا الرقطي على الموقع :https//www.almawdou3.com 22 يونيو 2019 ، سا 08:19 .

(2) المرجع نفسه، على الموقع نفسه.

(3) هاجر جلال ، التربة الصحراوية، على الموقع : https://www.almersale.com 05 نوفمبر 2022، 14:34 سا.

(4)موسوعة المعرفة، نباتات الصحراء، 16 فبراير 2007 ، على الموقع: https://m.maarefa.org/%D9 .

(5) طارق شداد، علم النبات والبيئة، 13 فبراير2022 . على الموقع: https://planting.mawdou3.com

- الجمل: تستطيع تحمل ظروف الصحراء القاسية والحرارة و سمي سفينة الصحراء.
- العقرب: تفضل العقارب المناخات الجافة والدافئة وهي من المخلوقات السامة.
- السلاحف الصحراوية: تستطيع العيش في درجة حرارة مرتفعة.
- الكوبرا: تعد من الثعابين الخطرة تعيش في صحراء جنوب شرق آسيا.
- القطة الرملية: تستطيع التعامل مع درجة حرارة العالية والباردة للرمال.
- المها العربي: من الثديات العربي الذي يستطيع التكيف مع الظروف الصحراوية.[1]

4- الصحراء والأدب:

الصحراء بعمومها وسكونها أصبحت مرتعا لشعراء العرب، في العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا، لقد أسّسوا الأدب الجديد الذي يمكن تسميته بالليل ومؤانسة الوحوش التي تتبع من حياة الصحراء أمثال: "معشي الذيب" و "مخاوي الذيب" ووردت أسماء الذئاب والضباع والنمور في بعض أشعار العرب الذين عاشوا حياة الترحال بالصحراء الموحشة.

4- الصحراء في كتابات الأدباء والشعراء:

1-الصحراء عند الشعراء القدامـى:

كان للصحراء أثر كبير في تكوين شخصية وهوية الشاعر العربي وتركت لديه بصمة الإبداع والإلهام للتعبير عن الحياة البدوية في الصحراء.

***الصحراء في شعر امرئ القيس:**

[1] رهف القرعان، حيوانات البيئة الصحراوية، على الموقع: https//www.almawdou3.com 25 يوليو 2023 ، 01:05 سا.

لقد وصف الصحراء في معلقته الشهيرة حيث يصف رمل الصحراء (سقط اللوى) يقول:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضّح في المقراة لم يعف رسمها. [1]

ويقول أيضا واصفا الصحراء:

أصاح ترى برقا اريك وميضة * كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سيناه أو مصابيح راهب * أمال السليط في الذيال المفتل

و ألقى بصحراء الغيظ بعاعه * نزول اليماني ذي الغياب المحمّل [2]

هنا امرئ القيس يصف الصحراء بعد هطول المطر وكلّ مظاهرها الطبيعة التي تدل على الفرح مثل بريق الرمل، وتغريد الطيور، ...الخ.

***الصحراء في شعر زهير بن أبي سلمى :**

أثرت الصحراء في شعر زهير بن أبي سلمى منذ أن نشأ فيها ، حيث يصف آثار منازل محبوبته فيها، فيقول:

لسلمى بشرقي القنان منازل

ورسم بصحراء اللبين حائل

---

[1] عبد الرحمان المصطاوي، ديوان امرئ القيس شرح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص21.

[2] المرجع نفسه، ص68.

عفا عام حلت صيفه وربيعه

وعام وعام يتبع العام قابل [1]

***الصحراء في شعر طرفة بن العبد :**

يذكر طرفة بن العبد الصحراء في قصيدته حيث سيطرت عاطفته عليه فيصف خيال محبوبته، حيث يقول:

أرق العين خيال لم يقر.

طاف والركب بصحراء يستر.

جازت البيداء أراحيلنا.

آخر الليل بيعفور خذر.[2]

حيث استخدم أحد أسماء الصحراء الواسعة وهو " البيداء" وتعني الصحارى الواسعة.

***الصحراء في شعـــــر الأعشى:** يقول

وبيداء قفر كبرد السدير ❁ مشاربها داثرات أجن.

قطعت إذا حب ريحانها ❁ بدوسرة جسرة كالعدن.

وطال اللسام على جبلة ❁ كخفاء من هضبات النحت .[3]

---

[1] حمدو طماس، زهير ابن أبي سلمى، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط2، 2005، ص47 .

[2] طرفة بن العبد، العصر الجامهلي، أصحوت اليوم أم شاقتك هرّة، مجلة الديوان على الموقع:https//www.adiwane.com

[3] عمر عبد السليمان المؤمن، الناقة والصحراء في شعر الأعشى، ميمون بن قيس، كلية علجون الجامعية ، جامعة البلقان التطبيقية، الأردن، 2019، ص30

هنا الشاعر يصف الصحراء بصعوبة المناخ والأجواء القاسية في تضاريسها وجوها الموحش هذه الصحراء المقفرة يحاربها المسافر عند الدخول إليها.

***الصحراء في شعر ذو الرمّة:** يذكرها يقول

ومن جرد غفل بساط تحاسنت به الوشي قراتى الرياح وخورها.

ترى ركبها يهوون في مدلهمة رهاء كمجرى الشمس درم حدورها.[1]

يصف هنا الصحراء بالجرداء القاحلة التي لا نبات فيها ولا ماء، لكن تتخللها نسمات الرياح العليل الذي يجعل منها مكان موحش مع جلبة الرمال التي تجعل من جوها مقلق وينتابك الرحيل منها والهروب.

ب-الصحراء عند الشعراء المحدثين:

***الصحراء في شعر مفدي زكريا:**

الصحراء في عين الشاعر الجزائري مفدي زكريا هي مواطن الحسن والجمال، كما أنّها تزخر بالثروات الطبيعية فهي بذلك مطمع للجميع الغزاة يقول عنها:

وفي صحرائنا جنات عدن

[1] ديوان ذو الرمه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص140 .وأنظر أيضا رجاء مكاحلية، هدى بوعلاق، تجليات الصحراء الجزائرية في الرواية الغربية ليلة النار لـ: إيريك إيمانويل شميت، ص43 .

بها تنساب ثروتنا إنسيابا.

وفي صحرائنا الكبرى كنوز

نطارد عن مواقعها الغرابا.

وفـــــي صحرائنا تبر وتمر

كلا الذهبين راق بها وطاب.[1]

***الصحراء في شعر محمد الأخضر السائحي:**

يخاطب الأخضر السائحي حبات الرمل المتطايرة رغم قساوة العيش فيها إلاّ أنها سحرتهم بجمالها الأخاذ، حيث يقول فيها:

كُثب أنت أم سنا وضياء؟

ورمال أم فتنة ورواء؟

وسكون مخيم ووجوم؟

أم غنّاء مرجع وحداء؟

وبساط محمد من حرير

أم هضاب على الثر شماء؟[2]

***الصحراء في شعر الأمير عبد القادر:**

حيث يصف حياتها وسحرها وعادتها قائلا:

يا عاذرا لامريء قد هام في الحضر

وعاذلا لمـــــحب البـــــدو والقفـــــر

لاتذم من بيوتـــــا خفّ محـــــملها

---

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدسة، منتدى صورة أزكية، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص35 .

[2] عامر منيب، الصحراء وسحر الرمال، أرشيف الشعر الفصيح والواحة الأدبية الغناء، 2007/06/26، سا 12:25 . على الموقع: https://www.mawdou3.com

وتمدحن بيوتـــــا الطين والحجر

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني

لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر.[1]

5-الصحراء في الأدب الشعبي:

الصحراء بفضائها الواسع وجوها الموحش خلقت لدى الشاعر الشعبي لمسة مبدعة،جعلت منه يحلق في فضائها الأخّاذ والساحر،فأصبحت بينهما علاقة عشق كبير حركت لديه المشاعر و الأحاسيس فأصبح الشاعر يحاكي الصحراء فأحبها وأنشد العديد من القصائد التي تتغنى بها مثل في قول الشاعر الجزائري الخثير بن السايح في قصيدته بعنوان «صحرتنا» حيث يقول:

يا عالم بالخفى ما سمعـو حـــد ۞ يا مـــــــن بابوياك ما عليه بواب

يا من تجي الى لحمـــــورش دود ۞ و تدخل فيه الروح بعدن ماكان تراب

هاذا الشاعر راه فيه سامر راه وقد ۞ وطامع فيك اليوم يطلب يا موجان

ماعندي لا نعجة ولا معـــــزة تولد ۞ وما عندو وديان يحرثها وشعاب [2]

هنا الشاعر يشكر الله سبحانه وتعالى على نعمة المطر حيث أنها تبعث الروح للحياة والحيوان و النبات.

يواصل الشاعر الخثير السايح حديثه عن الصحراء بذكر بعض أنواع النبات المستعملة للتداوي بها في هذه الصحاري يقول:

يخضار الى كان عوده يتـــكدد ۞ يابس من ذا لجفـــــــــاولي ثقاب

ويخضار الى ذبل ورقه كـشـــرد ۞ مرخا يجبس و الثمار نتاعه طاب

---

[1] الأمير عبد القادر، قصيدة باعازر،لإمرى قد هام في الحضر على الموقع الالكتروني: https//www.diwaneB.com.

[2] خطوة العيفة، صورة الصحراء ،في الشعر الشعبي وأثره على المجتمع، المجلة الدولية الأردنية أريام 06\2019، ص73.

العجرم و الشيح والرمث يــورد ۞ والمثنان مع العذم غطى لســهاب
والفيجل والكداد والصرمع النقد ۞ وفي الربيع القلقلان يدير ضباب [1]

ومن القصائد الشعبية الرائعة التي مدحت الصحراء والحياة البدوية فيها وطريقة عيش البدويّ و وصف الرمال الصحراء والخيمة وهدوء الليل قول الشاعر خليفة قادة :

البدوي في ارض الفساح راه مخيم
حوله شيء ما يعكر عليه سكوت
في النهار غير خوار الجمل
في الليل غير عواء الذيابة وملك الموت
داره قطعة قماش مبسوطة
بعظام مغروزة في الرمل ..... الخ.[2]

و يقول أيضا:

خمسطاعش في شهر مارس زدت أنا ۞ ألف و تسعمية متورخ و ثلاثين
ذاك العام الربيع و الصحرا زيـــــنة ۞ في ذاك التاريخ الناس رحالين
كانت البل و الغنم في كســـــــبنا ۞ وايامات ملاح في الصحرا زينين[3]

عبّـر الشاعر الشعبي عن حبّه للصحراء من خلال قصائده التي تغنى بها في المحافل وتمنّى لها الخير والسعادة كما تحصر عليها أيضا في أشعاره لما آلت إليه من أوضاع صعبة كما في قول الشاعر احمد بن يحيى بن الزبدة:

يا حصرا على الالصحرا ما وسات ۞ قالموابر تفكارة
ولا حتان حتان رحنا قاع شتات ۞ وكانت بالخيرات عنا ستارة
راحت عنا كلمـــــــيمة وصات ۞ وخدعتنا فيها الموت القدارة

---

[1] المرجع السابق، ص 73.

[2] المرجع نفسه، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص72 .

هنا الشاعر يتألم لحال الصحراء التي كانت مصدر العطاء و الخيرات كما وصفها بأنها الأم الحنونة في كثرة العطاء والحب.[1]

6-الصحـراء عند الروائيّين العرب والغرب:

1.6-الصحـراء عند الروائيّين العرب:

يرى النقّاد والباحثين العرب أنّ الرواية منذ نشأتها تعتبر من النوع الأدبي الأكثر تمسكا بالمدينة على اعتبار أن أحداثها تجرى مع الطبقات البرجوازية من حيث الشكل والتقنية والكتابة بحيث تكون مناسبة مع حياة المدن على غرار الأماكن الأخرى لكن هناك عالم آخر يتصف بالغموض والخوف والغرابة هو عالم البادية (عالم الصحراء)[2]، الذي كان فيه الشعر والغناء مسرحا واسعًا وبصوت أقوى لعدة سنوات للتغلب على ظروف هذا العالم الموحش بشكل فني عبر محاولات عديدة عبر مختلف العصور إلى أن جاءت الرواية في الأدب فإنتقل إلى عالم الصحراء باعتبارها هي الأم، الوطن، الأصل، هي النبت والمنشأ الأوّل الذي ترعرعوا فيه.[3]

حيث عرفت الصحراء عدد كبير من الروائيين الذين استطاعوا الغوص في خباياها فأخرجوا منها كنوزا كثيرة ،وبذلك تكون الرواية الصحراوية نابعة من أبعاد بيئتها وهذا ما وجدناه في العديد من الروايات العربية أمثال روايات إبراهيم الكوني أحد رواد الأدب الصحراوي الذي سطع نجمه على الساحة الأدبية حيث يقول: "إنّ الصحراء لعبت دور البطولة في حياتي وفي توجيه وجودي كله"[4]

---

[1] المرجع السابق، ص73.

[2] نزار التجديتي، حلم الصحراء في الأدب المغاربي، محاضرة 31 ماي 2007 ، ص 06 . نقلا عن مذكرة بلي نعيمة ، الفضاء الصحراوي في رواية، المغاربية المعاصرة، دراسة مقارنة بين مليكة مقدمة وإبراهيم الكوني، د.قحام توفيق، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، 2020- 2021.

[3] المرجع نفسه، ص 34 .

[4] إبراهيم الكوني، رمزية الصحراء حوار في بيت الحكمة، دورة 42 للكتاب، الملتقى الدولي للشارقة، 2023/12/02.

الكوني صنع أسطورة الصحراء و كشف عن خباياها ،الكوني لا يكتب عن الصحراء ليتميز بها بل يراها أنها مهبط سيدنا ادم عليه السلام ويراها أن مستقبل الإنسان يكون في الصحراء.

فالصحراء تحدّث عنها تحدثا لافتا يراها أنّها خلقت الوجود، لكن هذا الوجود لم يف بواجبه اتّجاهها ، يرى أنّ الصّحراء هي التي تطعم العالم وكل الطاقة الموجودة في العالم موجودة فيها، وبيّن أيضا أنّ الصحراء بالنسبة إليه ليست مكانا وليست مجرد مسقط رأسه بل هي وطنه[1] محدّثنا عن ليلة الضياع في الصحراء بقول: "أنّ الطفل بعمر خمس سنوات مات في الظّلام والصحراء ابتلعته هذا يعتبر أن الصحراء ولدتني من جديد"[2] ومن أعماله التي وظف فيها الصحراء نذكر منها:

رواية التبر، المجوس، رباعية الخسوف، ناقة الله، صحرائي الكبرى، اللغة ولغز الطوارق، وطني الصحراء الكبرى، الكوني في جميع رواياته يستحضر الصحراء لأنها ماضيه يريد استعادة مجدها لتصبح في النهاية علامة سيمائية تميّز أدبه.[3]

6-2-الصحراء عند الروائيين الجزائريين:

الصحراء مكان منفتح على الطبيعة وهذه الخصوصية جعلتها ملهما للعديد من الروائيين الجزائريين باللغتين العربية والفرنسية ، فالرواية المكتوبة باللغة العربية التي تناولت تيمة الصحراء هي قليلة ، جاءت متأخرة نوعا ما ، نذكر من الروائيين الجزائرين الحبيب السايح الذي يقول عن الصحراء بأن الكلمات والأصوات تحدثنا عن صمت الأمكنة الناطقة بظل الإنسان يخبرنا عن تجربته في صحراء أدرار لا تضاهيها صحراء أخرى في روايته

---

[1] مليكة سعدي الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، 2013/2012 ، ص 173 -175 .

[2] إبراهيم الكوني، رمزية الصحراء حوار في بيت الحكمة ، ص44.

[3] المرجع نفسه، ص 44 .

«صمت تيميمون»[1]، وعبر عن متاهات القصور والقصبات كانت تلك التجربة بالنسبة له هدية و عربون محبة وترسيخ علاقته بالله عزّ و جل فهي الصبر والتأمل والمحبّة.[2]

ومن أعماله الروائية نذكر: رواية تلك المحبة التي تناول فيها العديد من القضايا التي مست الجنوب الجزائري، رواية تنزروفت بحثا عن الظل التي تحدث عنها لاسترجاع الذكريات والماضي الذي يعيده نحو الشمال...الخ[3]

3-6 :بعض الروائين الذين كتبو عن الصحراء

- **رشيد بوجدرة في رواية تميمون:**

وهي عبارة عن رحلة تخيلية في فضاء واقعي في عمق الصحراء الجزائرية حيث الأمن والأمان مفقود بفعل لغة الموت المبثوث في كل شارع من شوارع الشمال واستطاع أن يرسم العلاقة بين البيئتين الجزائريتين ينتميان إلى فضاء واحد.[4]

يقول بوجدرة عن الصحراء إنها مراثي للعدم ومسالك للتيه والترحال يعترف بصعوبة الولوج لعالم الصحراء حيث يقف مندهشا أمام عبقرية ذلك البدوي و كيف تكيف مع الطبيعة القاسية والنجاة بأعجوبة حيث يحدثنا عن ليل الصحراء الشهواني و الحسي و الماجن يقول إنها الحياة التي يجب أن نحياها يقول إن الصحراء هي : " امرأة لعوب ماجنة تأسر عاشقها".[5]

***عبد الحميد بن هدوقة رواية "ريح الجنوب أو نهاية الأمس":**

---

[1] الخضر بن عيسى، الصحراء في الأدب الجزائري لرواية "سأهبك غزالة لمالك حداد"، ص من 40 إلى 50 .

[2] أبوبكر زمال، الصحراء جنة الكلمات لقاء مع الحبيب السايح على مجلة الجديد السبت 2020/04/25، على الموقعhttps//www.aljadidmagazine.com

[3] آمنة بلعلي، رمزية الصحراء حوار في بيت الحكمة ص199.

[4] آمنة بلعلي، متخيل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية، أكتوبر ط8، 2018، ص44.

[5] محمد بوزرواطة، الصحراء كما يراها مراثي للعدم ومسالك التيه والترحال لرشيد بوجدرة، مجلة مسارب الالكترونية ، ، 03 فبراير 2023 ، 12:42، على الموقع: https://www.masareb.com .

حيث ركزت رواية الريح الجنوب على رياح الصحراء القبلية الجافة التي تحرق الأخضر واليابس وتتلف المحاصيل الزراعية وتفقد الأراضي صفتها الخضراء حيث يقول: "فإن تحركت ريح الجنوب بكل عنف وانطلق دويها بكل قوة يهز الدنيا هزا وأخذت أصواتها في فحيح وصغير تجاوب من كل جهة وجانب باعثة في النفوس الهلع وفي القلوب الرعب والفزع".[1]

***محمد ولد الشيخ رواية "مريم بين النخيل":**

والتي عالجت واقع الجنوب وما يعانيه من مرض وفقر وجهل في ظل المستعمر، ذلك موضوع الهوية كذلك حول قضية الزواج المختلط بين الإيلام والمسيحية.[2]

***مالك حداد: رواية "سأهديك غزالة":**

تدور أحداثها عن البطل مولاي عن غزالة حيّة لكي يهديها لحبيبة ثمّ موته عطشًا فيه دون أن يحقّق حلمه.[3]

***جميلة طلباوي: رواية "الخابية":**

التي عبرت عن الفكر الصحراوي في علاقاته بالأشياء والتي تجعل الخابية سلطة رمزية.[4]

***نوار ياسين :رواية "صحاري السراب":**

الذي شهد تفاعلا مع المكان الصحراوي وكل مظاهر الحياة في الصحراء وصعوبتها وقساوتها وأسرارها. [5]

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للتوزيع، ط3، 1976، ص75 .

[2] جميلة طلباوي، الصحراء في الرواية الجزائرية البادايات النازفة والانتباه المتأخر، على الموقع: https//www.annasonline.com ، 2021 ، 15:47 سا.

[3] آمنة بلعلي، متخيل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية ، ص44.

[4] المرجع السابق، ص44.

[5] المرجع نفسه، ص45.

***أمل بوشارب :رواية "ثابت ظلمة":**

تعالج أسطورة إغريقية تناولها أفلاطون في محاورته تيمايوس وكريتياس ومعتقدات محلية وأسرار مسكوت عنها منتشرة في صحراء الجزائر لم يتم تفسيرها إلى حد الآن. [1]

***لحاج أحمد الصديق :رواية "مملكة الزيوان":**

لقد تميّزت روايته بالتركيز على الصحراء والعودة إلى الماضي ومحاورة أساطيرها ورموزها، وقصورها، ورمالها واكتشاف عوالم الأجداد، والأسلاف وتعاويذهم وتمائمهم السحرية.[2]

وذلك العالم الموحش والمخيف الذين كانوا يعيشون فيه في تلك البوادي القاحلة والتأقلم مع ظروفها القاسية ممّا يجلب الدهشة والحيرة للقارئ كيف صنعت هذه الظروف والعوامل أناس كلّهم حكمة وعزيمة وصبر وجلد وهذا هو موضوعنا الذي نحن بصدد دراسته.

6-4-حضور فضاء الصحراء في الرواية التونسيّة:

وجدنا عدة تجارب روائية لروائيين تونسيين اتخذوا من فضاء الصحراء مكانا لمعمارهم منها روايتي "وراء السراب" و رواية "الدراويش" ل"إبراهيم الدرغوثي" رواية "السد" لعبد السلام المسدي ، ورواية " الدقلة في عراجينها " لبشير خريف هذه الأخيرة ، أحداثها توحي للقارئ مباشرة إلى عالم الصحراء فالدقلة والعرجون رمز النخلة والنخلة رمز الصحراء.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص45.

[2] المرجع نفسه، ص45.

[3] بلي نعيمة، الفضاء الصحراوي في الرواية المغاربية المعاصرة ، مذكرة ماستر، ، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2020- 2021.

أمّا رواية "وراء السراب" جرت أحداثها في صحراء جربة بتونس تدور أحداثها عن مرحلة الاستعمار الفرنسي واكتشافهم مناجم الفوسفات في قلب الصحراء.[1]

6-5-حضور الصحراء في الرواية المغربية:

ظهرت في المغرب مجموعة من الروايات المعاصرة التي اهتمت بالمكان الصحراوي كرواية: "طفل الرمال" لطاهر بن جلول، رواية عشاق الصحراء الزبيدة هرماس، وإمارة البئر لمحمد سالم الشرقاوي ولعل ندرة الروايات التي اهتمت بموضوع الصحراء ناجمة عن اهتمام الرواية المغاربية بالمشاكل الناجمة عن البطالة، الفقر، الهجرة الغير الشرعية.[2]

7-الصحراء عند الروائيين الغرب:

7-1-الصحراء عند أوجـين فرومنتان:

في عام 1846 قام الرسّام الفرنسي "أوجين فرومنتان" برحلة مع بعض أصدقائه إلى صحراء الجزائر فعشقها وألهمته طبيعة الصحراء الجزائرية فصورها في لوحته الشهيرة: "مشهد صحراوي أو لصوص الليل"، الّتي جسدت روعة الليل في الصحراء وكانت أهم نصوصه التاريخية التي حملتها رحلته كانت حول المسالك والطرق الصحراوية وعادات وتقاليد ولهجات ومنابع الثروة الجزائرية، حيث عبر عن الشعب العربي بهذه المقولة: "إنّ العرب هم الشعب

---

[1] مقداش رزيقة، صورة الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي، إشراف الدكتور مصطفى درواش، جامعة مولود معمري، تيزي وزو 2021- 2022 .

[2] صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربيّة السوريّة، دمشق، 1996، ص141، قد ساعدنا في الوصل إلى هذه المعلومات وترتيبها حسب المنهجية التي نعمل عليها الآن مذكرة رجاء مكاحلية، هدى بوعلاق، تجلّيات الصحراء الجزائرية في الرواية الغربية، رواية ليلة النّار لإريك إيمانيويل شميت، 2020-2021، ص66-67-68.

الوحيد الذي استطاع الاحتفاظ بكبريائه حيث بقي بسيط في حياته وتقاليده وأسفاره وسط الشعوب الأخرى المتدّنة".

حيث أنجز العديد من مشاهد الصيد في الصحراء ومن بينها اصطياد الصقور حيث كانت هذه العملية مفعمة بالبطولة (صورة العرب للصقور، صورة العرب على صهوات جيادهم قام بثلاث رحلات الى الصحراء الجزائر ولديه كتابين (صيف في صحراء الجزائر1857) وكتاب (سنة في الساحل عام 1859).

يتبين لنا أنّ "أوجين فرومنتان" يصف لنا الصحراء على أنها ذلك المكان الخالي من الرطوبة عبارة عن الكثير من الرمال والأراضي القاحلة حيث تنعدم فيها الزراعة مع وجود بعض النباتات التي تتحمل درجات الحرارة عالية مثل الحلفاء، الصبار، ويصف كذلك غروب الشمس و بأن منظر غروب الشمس يزيد من جمال الصحراء.

7-2-الصحراء عند رينيه كاييــه:

الصحراء بالنسبة لـ "رينيه كاييه" فرصته للمغامرة والتحدي في ذلك الفضاء الواسع فعزمة على الدخول إلى عوالم الصحراء المخيفة برغم من الصعوبات التي واجهته في رحلته لكن إصراره على اكتشافها دفعة إلى المضي قُدمًا فتعرف على عادات وتقاليد البدو الرحل في الصحراء ولم يتخيل "كاييه" أنّ وصوله إلى عاصمة الصحراء الكبرى تمبوكتو سوف يخيب إماله فلم يتوقع أن يجدها كما رسمها في مخيلته بل كانت مجرد قرية صغيرة فقيرة تعج بالسكان وبالقوافل للتسوق والتجارة فيها، وقد نجح "كاييه" في اجتياز الصحراء الكبرى وقد

حذف كلمة مجهول عن أحد أماكن الصحراء الكبرى وأصبح من الرواد البارزين المشهورين ونال جائزة الجمعية في باريس واحترام العلماء وإعجابهم في جميع أنحاء العالم.[1]

[1] سام، بربل ابيشتين، كلّ شيء عن الصحراء، مصطفى بدران، دار المعارف بمصر، 1971، ص52 .

الفصل الثاني

تجليّات الصحراء في مملكة الزيوان

أوّلا: العادات والتقاليد

ثانيا- الطقـــــوس

ثالثا- المناخ

رابعا- الطبيعة

خامسا- الأدب

أولا-العادات والتقاليـــــد:

يشمل التراث الثقافي أمورا معنوية وأخرى مادية ولا تقلّ أحدهما عن الآخر وتعدّ العادات والتقاليد من مكونات الثقافة، وهي الميزة الأساسية الثابتة والمتغيرة نسبيا التي لا تخلو منها المجتمعات، ومنها المجتمع الجزائري، لأن العادات والتقاليد إرث ثقافي غني لا يستهان به في كثير من الأوقات فهي رسالة يحملها الفرد إلى أي مكان معبرا بذلك عن هويته.[1]

العادات والتقاليد هي عبارة عن موروثات يعود أصلها إلى نشأة الإنسان وبيئته التي يعيش فيها، إذ يعود الأمر إلى التنوّع الديني والجغرافي للأفراد، و يمكن اعتبار العادة أنه كل ما يقوم به الإنسان ويكرره لأكثر من ثلاث مرات، فيصبح عادة روتينية يوميّة، ومن المعلوم أنّ الإنسان اجتماعي بطبيعته التي فطره الله عليها، إذ يجب العيش وسط مجتمع ذي موروث اجتماعي محدد وعادات وتقاليد معروفة، ولا يمكن لشخص واحد تشييد حضارة كاملة بمفرده، وإنما يحتاج الى مجموعة كبيرة من الناس للقيام بذلك، وبالتالي ينتج عن هذه مجموعة عادات وتقاليد عديدة.[2]

لكل بلد عربي عاداته وتقاليده يتميز بها، فهي تختلف من منطقة إلى أخرى من خلال المعالم والألبسة ومناظرها الخلابة من بحار ومحيطات تجعلها لؤلؤة تشع بالجمال الذي يخطف الأبصار من لبها فتجعل الذاكرة كل يوم في ترسمه بمخيلتها، ويشتاق اللسان إلى أكلاتها وسحر بساتينها، فتصبح تحفة فنية من هذا العالم، فسبحان من صوره و جعله كوكبا في مجرة على فضاء فاخر.[3]

---

[1] مجلّة كلية التربية، الاتجاهات نحو العادات والتقاليد كالظواهر الاجتماعية المحلية، ، جامعة الأزهر، العدد 180، ج3 أكتوبر 2016م، ص 482.

[2] فريدة بالرقي، عادات وتقاليد، كتاب جامع، (د.ط)، (د.س)، ص05.

[3] رزقي شيماء، عادات وتقاليد، كتاب جامع، (د.ط)، (د.س)، ص04.

وآخر ما يشار إليه أنّ الشعب الجزائري اعتاد على التمسك بعاداته وتقاليده، والحفاظ عليها وعدم التفريط بها على مر العصور وتوارثها جيل إلى جيل، ولم يفكر يوما في التخلي عن عاداته وتقاليده التي تعد مبادئ أصيلة وهذا ما جعل الأدباء يعكفون على توظيفها في أعمالهم الأدبية لأنّها تمثل هوية الأمة ومبادئها الأصيلة وخير مثال على ذلك الرواية التي بين أيدينا للروائي الصديق الحاج أحمد في روايته "مملكة الزيوان" فقد استحضر العديد من العادات والتقاليد الشعبية التي تمثل أصالته وانتمائه ووجوده والتي يقومون بها أهل منطقة "أدرار" وهي كالآتي:

1.1-عادات الأكـــــل:

إنّ آداب الأكل والشرب تعبّر هي الأخرى عن نمط من العادات اليوميّة المتداولة فهي تعبر عن سياق اجتماعي معين يتمحور حول تأسيس الأفراد لهذا الحدث عبر الاجتماع حول المائدة، نحن نتناول الطعام مرارا وتكرارا عبر الأيام، فالناس يعبرون عن تميزهم وتفردهم ويدركونه من خلال وسيط الطعام.[1]

ونجد المجتمع الجزائري يحافظ على عاداته وتقاليده في تحضير الأكلات التقليدية ومن خلال هذه الدراسة سنحاول تطبيق بعض الأطباق التقليدية الخاصة بمنطقة أهل التوات وكيفية تحضيرها والمناسبات التي تقام فيها ومن هذه المأكولات الشعبية ما يلي:

***الكسكس:** من أشهر الأطباق الجزائرية، لا يكاد يخلو أي بيت من البيوت الجزائرية من تقديمه مرّة على الأقل كل أسبوع، حيث يعتبر الكسكس أحد أفضل الأطباق الجزائرية وأعرقها، يؤكل الكسكس بعدة طرق باردا أو ساخنا مع المرق أو مع اللبن والحليب وهناك من يحب أكله مع السكر، لكن يعتبر الكسكسي مع المرق باللحم هو الأفضل والذي يقدم ساخنا في المناسبات الدينية والولائم الاحتفالية.

[1] وليد حمادي، العادات والتقاليد ، المجلّة العربية للدراسات الانتربولوجية المعاصرة ، صدر عن مركز فاعلون، مجلد06، عدد02، 2020، ص44.

فيقول الروائي: "وفي صباح ذلك اليوم المشهود، استيقظت سامعا لضجيج النسوة الصاخب، وشاما لرائحة الكسكس المفوّر المختلط برائحة أم الناس ببيتنا".[1]

ونستنتج من هذا القول الروائي أن أهل القصر أو النسوة تجتمع مع بعضها البعض من أجل فتل الكسكس وهي عادة قديمة يقوم بها أهل التوات خاصة والمجتمع الجزائري عامة، إذ تقوم النساء بفتل الدقيق مع الماء ثمّ وضعه فوق قدر من أجل التفوير ثمّ يتركنه لكي يجف تماما ويضعونه في أكياس ويستعملونه بعد ذلك طول السنة، فأم الزيواني استعانت بجيرانها لفتل الكسكس أمبيريكية زوجة سيدي الحاج لعوج لوليمة الختان للزيواني (بطل الرواية) إذ يقول: "وتقوم بمعاونة جارتها أمبيريكية زوجة سيد الحاج لعوج في فتل الكسكس أو المردود".[2]

وقد قام الروائي بوصف هذا الطبق في الرواية بقوله: "وجيء بالقصعة الخشبية المغطاة بالمكب، كانت تلك القصاع المملوءة بالكسكس الممرق، قد وضع عليها عطاري من اللحم مربوط بسعفة خضراء مطهوّة معه فبدأ الجمع في تكوير لقم الكسكس باليد ورفعها مكوّرة فوق السبابة والإبهام حتى ليخيل لك، أنها فوق كرسي، أعدّ لها باقتدار محكم ليسهل وصولها للشفتين...".[3]

هنا نلاحظ أن الروائي يصف لنا كيفية تقديم طبق الكسكس وطريقة أكله في منطقة التواتية.

ويقول أيضا: "بينما أختي مريمو انشغلت بإعداد الكسكس وتناولنا قصعتنا من الكسكس الممرّق باللحم ....".[4]

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن العائلات الجزائرية لا تزال تحافظ على عاداتها وتقاليدها من خلال إعدادها لطبق الكسكس في المناسبات والأعراس والختان واستقبال الضيوف ...إلخ .

---

[1] الصديق الحاج أحمد، رواية "مملكة الزيوان"، ص111.

[2] المصدر نفسه، ص91.

[3] المصدر نفسه، ص56.

[4] المصدر نفسه، ص234.

*** المـــــردود:**

يتربع طبق المردود أو كما يسميه البعض "البركوكس" على المائدة الجزائرية في فصل الشتاء وهو عبارة عن حساء يقدم ساخنا ويتميز بمذاقه الحار وتعدّه ربات البيوت مقاومة للبرد ونزلاته.

يتكون طبق المردود من حبيبات العجين والتي تعدها النساء في البيت وتجففها لتصبح جاهزة للطهو وتوضع في المرق مع الفول المجفف و القليل من الحمص والبازلاء إلى جانب الطماطم والثوم والكزبرة ويشبه الجزائريون هذا الطبق بالمضادات الحيوية.

والمردود من الاطباق المفضلة لدى الزيواني يقول عن ذلك: "وبالرغم من أن المردود كان من أشهى الأطعمة عندي وأفضلها على الاطلاق في وجباتنا التواتية البسيطة، كخبز أنور، الخبز المبطن، إلا أني أكلت منه ثلاث ملاعق خشبية فقط وكان من العادة أن يعطي لكل زائر وزائرة لنا في محنتنا من ذلك المردود الذي يسمى المردود المزين". [1]

نستنتج أنّ الروائي كان يفضّل طبق المردود على الأطباق الأخرى كخبز أنور وخبز مبطن وهو من الأطباق التقليدية لأهل التوات وكانوا يقدمونه للضيوف أو أي زائر.

*** خبز أنور:**

وهو أكلة شعبية طيبة تحتل الصدارة في قائمة المأكولات الأدرارية التواتية المحبوبة ويحضّر بدقيق القمح المعجون بالماء وقليل ن الملح وطهيه إمّ أنْ يكون من أنور المصنوع من الطين ويبسط فيه بعد أن يحمى بالحطب ويكون رقيقا لهذا يطلق عليه بالخبز الرقيق، وفي نفس الوقت تكون المرأة التواتية قد أعدت المرق الذي يسقى به الخبز وهو محضر من الخضر كالبصل والجزر مع الملح والقليل من العسل، ويسقى بوضع قطعة من الخبز الرقيق في الصحن وتسقى ثّم ورقة أخرى و تسقى وهكذا حتى يمتلئ الصحن ويقدّم.

وقد ذكر لنا الروائي في الرواية فيقول: ".... من أشهى عندي وأفضلها على الإطلاق في وجباتنا التواتية البسيطة، كخبز أنور والخبز المبطن....". [2]

---

[1] المصدر السابق، ص113.

[2] المصدر نفسه، ص113.

نلاحظ أن الأطباق التقليدية الشعبية لمنطقة أدرار وأهل التوات هي المفضّلة لدى الروائي.

2.1-المشروبات الصحراوية:

ننتقل من الأطباق التواتية الأصلية التي تعرف بها منطقة أدرار إلى المشروبات التي معتمدة لديهم:

***الشـــاي:** ومن الأشياء التي تتميز وتشتهر بها مناطق الجنوب "الشاي" أو "أتاي" الذي يعد من أهم المشروبات التي يستهلكها الصحراويون فلا تجد أي طاولة أو كما يسمى في الصحراء بـ "الجلسة" دون أن يصاحبها "الطبلة" أو "صينية" إذ لا يشرعون في الحديث والمناقشة المواضيع المختلفة دونه.

وفي الروايــة التي بين أيدينا وجدنــا أن والــد الزيواني هو من يقــوم بتحضيره، إذ يقول: "... كنّا نجلس حول موقد الحطب والنار بمصــريتنا، والدي وأنا والداعلي ووالــده، الذي كان قد شرع في إعداد الشاي وبينما طقطقة الحطب النار...".[1]

ويقول أيضا: " كان والدي ساعتها يشرب الشاي، مع جارنا اللندوشيني سيد الحاج لعوج فقالت له قاموا بلهجتها المعتادة: " لبشارة ... لبشارة...يا سيدي"، فقال لها والدي: بعد أن بلغ الرشفة الأخيرة من الشاي كأسه الوسطاني...". [2]

وفي قوله كذلك: "بعدها تناول أبي صينية الشاي، وبدأ بطقوس إعداد الشاي... ".[3]

نلاحظ من هذا أنّ أهل التوات يقومون بطقوس معينة لإعداد الشاي ولا يمكن إقامة هذه العادات إلا أهل الصحراء.

---

[1] المصدر السابق، ص139.

[2] المصدر نفسه، ص74.

[3] المصدر نفسه، ص234.

إنّ أهل التوات يشربون الشاي في الصباح يقول الروائي: "فجلست قبالتنا، وتناولت فطورها الصباحي بكلّ راحة، بيضتان مسلوقتان مع كعبة حلوة تونسيّة، وكأس من الشاي الخفيف الوسطاني عندنا...".[1]، "وفي صباح اليوم الموالي بعد شرب شاينا الصباحي".[2]

ومن هنا نستنتج أنّ منطقة الصحراء تشتهر بالشاي وبعدّ من المشروبات الرئيسيّة عندهم.

3.1-اللبـــاس:

إنّ اللباس الصحراوي يحظى بمكانة هامّة ضمن عادات وتقاليد سكان الجنوب كما يشكل جزءً أساسيا من هوايتهم حيث لا يمكنهم التخلّي عن الزي التقليدي الشعبي الذي اشتهروا به لعدة عقود من الزمن، فالمرأة ترتدي ثوب طوله أربعة أمتار وعرضه لا يتجاوز المتر الواحد والستين سنتيمتر تلبسه المرأة الصحراوية أينما حلّت وارتحلت أمّا بالنسبة للرّجال يرتدون ما يسمّى بالبازار عبارة عن عباءة فضفاضة مفتوحة من الجانبين وعمامة تغطي الرأس ويتنقبون أيضا.[3]

نلاحظ أن المجتمع الصحراوي خاصة منطقة توات جنوب الجزائر يولون إهتمام كبير للباسهم الذي يلبسونه على الدوام فهو يعبر عن ثقافاتهم ووجدانهم وانتمائهم التاريخي حيث يذكر لنا الحاج أحمد الصديق في روايته عن بعض الألبسة نذكر منها:

***الديلق:** ثوب أبيض مصبوغ بالحناء طوله مقدار ذراع [4]حيث يقول: "حينها ألبستني أمي ثوبا خفيفا سمي عندنا الديلق طوله مقدار ذراع عند أهل ناحيتنا كانت قد جهّزته لي منذ كنت في رحمها وهي محبولة بي في الشهر الثامن مع أغراض أخرى سمّي".

---

[1] المصدر السابق، ص185.

[2] المصدر نفسه، ص183 .

[3] يومية الاتحاد الجزائرية على الموقع: https//www.elitihad.com.dz .

[4] الرواية، ص44.

***الدنفاسة:** فراش مبطن تقليدي يصنع من الثياب البالية .[1]

***الكنبوش:** غطاء رأسي تقليدي يستعمل لتغطيته رأس الصّبي زمن البرد.[2]

***العمامة:** عبارة عن قطعة قماش طويلة تلف على الرأس عدة لفات وتلوى عليه والرجل التواتي يلبس العمامة يذكرها الزيواني يقول: "فبادر أكبر الأعمام عند دخولهم بتهنئة مصطنعة لوالدي ... فقال لوالدي وهو يعدل تكوير عمامته على رأسه التي كان فيها حجاب محمر بارز في ثنيتها".[3]

***القناع:** قطعة قماش كتّان قديم كانت أغلب النساء التواتيات تضعه خلال الستّينات والسبعينات، يقول: "مسحت أمي قطرات الحليب المتساقطة على جبهتي و طرف عيني بقناعها المصنوع من كتان الدميشي".[4]

***الإزار:** لباس تقليدي تلبسه المرأة التواتية المتزوجة يذكرها بقوله: "خلال فترة تزيينها كانت عيشة مباركة قد فرغت للتو من تخلال إزار أمّي وقت إزارا من المحمودي الأزرق". [5]

***السروال:** قماش مصنوع من كتان ستان اسود اللون في قوله : "وسروالا كأنه أسودا من كتان ستان". [6]

***عباءة أمسيلات الحوت:** لباس شتوي كانت نساء توات يلبسنه يقول الراوي: "لبسن عباءة أمسيات الحوت وبينما لا زال رأسها مبلّلاً نادتها الماشطة مولودة ودفعت رأسها دفعا". [7]

---

[1] المصدر السابق، ص 44.

[2] المصدر نفسه، ص 44.

[3] المصدر نفسه، ص53.

[4] المصدر نفسه، ص 45.

[5] المصدر نفسه، ص 63.

[6] المصدر نفسه، ص 61.

[7] المصدر نفسه، ص61.

***الخنت:** غطاء يوضع على رأس المرأة التواتية يذكرها بقوله: "وضعت أمّي خنتها الجديد على رأسها حيث كانت نهاية بوساق تظهر على جانبيه".[1]

4.1-المعمار التواتي:

***السباخ:** أرض مستوية مليئة بالملح يقال لها السبخة يقول الزيواني: "طفنا بتلك السباخ مكتشفين لهذا العالم الجديد علينا حططنا رحالنا بسبخة من سباخنا الكثيرة والمتعددة، سبخة الفوقانية، السبخة التحتانية، السبخة الكبيرة، سبخة البور".[2]

***الزقاق:** يحدثنا الزيواني بقوله: "فإذا ما خرجت من ذلك الزقاق الضيق قابلني زقاق واسع مسقف يدور بالقصبة من الداخل على جهاتها الأربعة مشكلا ما يشبه الحزام يدعى في اللهجة القلقالية أسردار كان سكان القصر يستعملونه للتبرد في الصيف". [3]

***القسم:** "كنا نأتي للمدرسة صباحا دون محافظ وقد نكون بلا نعال ونصطف أمام القسم، يسمح لهم بفتح القسم". [4]

***الضريح:** يحدثنا الزيواني عن أولياء أهل التوات مثل في قوله: "وما أن بلغنا قبالة ضريح ولينا سيدي شاي الله". [5]

"كانت هذه الرحلة محمولا فيها لزيارة ضريح وليّ قصر". [6]

***البيت:** يحدثنا عن بيتهم بقوله: "بيتنا سقفيا مستطيلا طينيا سقفت سقفاته بخشب جذع النخل، تعشى القوم ببيتنا في هذه الليلة ، تعهدت بها عمتي نفوسة لتبيت عندنا ببيتنا".[7]

---

[1] المصدر السابق، ص62.

[2] المصدر نفسه، ص125.

[3] المصدر نفسه، ص 93 .

[4] المصدر نفسه، ص 136 .

[5] المصدر نفسه، ص 123 .

[6] المصدر نفسه، ص 65.

[7] المصدر نفسه، ص 65 .

***القصر:** أحد الأماكن التي ذكرها الراوي كثيرا ومن بين القصور نذكر: قصور تمنطيط، تيليلان، ملوكة، زاوية الكنتة، زاوية الشيخ المغلي، أنزجمير، حيث يقول أيضا في روايته: "هناك خارج القصر الزيواني كان سكان القصر في سالف عهدهم، كان شيوخ القصر وكبار القبائل، فقد كانت نساء القصبة والقصر، بالقصر الوسطاني، القصر التحتاني". [1]

* **القنطـرة:** وهو ممر للخروج والدخول منه في تلك الأبواب التي توجد بالقصبة حيث يقول: "و كانت القنطرة مجلسا محببا للأعيان، وأنت تخرج من الداخل ممن ذلك الباب الوحيد للقصبة لابد لك أن تمر على قنطرة ، نزلت القنطرة المائلة نحو الأسفل ". [2]

***الكتّاب:** مكان واسع لقراءة القرآن آنذاك يتجمّع فيه الصبي لتلاوة ما كتب في كتاب الله سبحانه وتعالى، حيث يقول الزيواني: " ولما بلغنا الكتّاب كان الوقت ضحى، بعد شهر من دخولنا الكتّاب، في أحد أيّام الخميس التي كنا لا تدرس فيها بالكتّاب". [3]

---

[1] المصدر السابق، ص من 11 إلى 133 .

[2] المصدر نفسه، ص 95 .

[3] المصدر نفسه، ص 122 ، 123 ، 124 .

ثانيا- الطقـــــوس:

يحدثّنا الزيوان في روايته هذه عن بعض الطقوس التي تقام في مجتمعه التواتي خاصة في بعض المناسبات وكان الجميع يعتقدون بها اعتقادا تام و يؤمنون بها وما هذا إلا ويدل على بعض طقوس السحر والشعوذة في ذلك الوقت.

*** السحـــــر:**

يعتبر السحر من أهم المعتقدات التي لازمت الإنسان منذ بداية التاريخ وفي مختلف الحضارات القديمة التي كانت تستعين به لتحقيق أغراض عديدة بحسب الأمر المراد الوصول إليه والإقبال عليه أصبح يشكل ظاهرة خاصة في هذا الوقت وأيضا منذ عصورا خلت.[1]

- **الشعـــوذة:**

خلط الدين بالخرافة و العلم بالأسطورة وفق مراقبين وتعدّد المقاصد من يجدأن الى المشعوذين والسحرة تتراوح في الرغبة بتغيير واقع أو طمع في منصب أو ثراء، أو ما يخباه المستقبل .[2]

وهي أيضا باب من أبواب السحر و الكهانة والعرافة و هي رؤية الشيء على غير حقيقته معتمدا الخداع.[3]

وهي أيضا كل أمر مموه باطل لا حقيقة له ولا ثبات وقيل الشعوذة تهويل وإبهاما ليس لها حقائق قائمة على التمائم، التعاويذ، الأحجبة، الطلاسم. [4]

---

[1] حسين جلعيب السعدي، السحر حقيقة ، وحكمه على الموقع : https//bfdc.journales.ekb.egpdf

[2] مركز الاتحاد للأخبار على الموقع :https//www.elitihad.ae.article

[3] سلسبيل حمور، حكم الشعوذة في الإسلام على موقع :.https//www.mawdoo3.com

[4] المرجع نفسه على الموقع نفسه.

ومن بعض الطقوس التي أخبرنا عنها الراوي الزيواني في قوله: "ومن التبريرات التي قدمتها عمتي نفوسة لفساد حمل أمي أنّ زوجات أعمامي لأبي قد سحرن أمي وكتبن لها حجاب بخط الجدول عند الطالب أيقش".[1]

ويضيف: "طقوس مسك البخار بين الحين والآخر تضع عليه بين الفنية والأخرى حبات البخور مع تعويذاتها المتسلسلة والمتكررة والتي تقول عش عش يا اللباس".[2]

ويقول: " روائح البخور والجاوي واللبان ما سهل علي النوم باكرا وخليت الأمر واسعا لأمي وأبي".[3]

ويواصل: "بفعل عمتي صرائر أم الناس، الأبخرة، الحجابات".[4]

ويواصل: "وألبسونا تمائم مربعة من الكتان الأبيض معها مسمار حديدي صغير في كل مرة تحرص عمتي نفوسة على وضعه كما وضعوا صرة ام الناس المشدودة بخيط في رجلينا اليمنى".[5]

ويواصل: " فالأكيد المؤكد أنهن سعين للطالب أيقش وكتب عليه من خيط جداوله شيئا".[6]

ويواصل: " أصبح الآن يقلل من إيماني بحجاب وحرز الطالب أيقش فاهتديت أخيرا إلى أمر صائب يريح ضميري الثقافي ويبرد حرارة جمرة صبابتي". [7]

---

[1] الرواية، ص38 .

[2] المصدر نفسه، ص 64 .

[3] المصدر نفسه، ص 69 .

[4] المصدر نفسه، ص 111 .

[5] المصدر نفسه، ص 114.

[6] المصدر نفسه، ص 223 .

[7] المصدر نفسه، ص 223 .

ويواصل أيضا: " فتل لي خيطين واحد منهما الأبيض والآخر أسود وعقدهما سبع عقدات سمي هذا الخيط في أحزاب و شريعة عمتي نفوسة بخيط (قل هو الله أحد)".[1]

***الـــــولادة:**

خروج المولود الناتج عن الحمل أو استخراجه بشكل كامل من بطن أمه بغض النظر عن فترة الحمل والذي بعد انفصاله عن أمه تبدو عليه أي دلائل أخرى للحياة، مثل ضربات القلب ونبضات الحبل السري".[2]

يقول الراوي: "حين تقلصت عضلات رحم أمي، و قذفت بي إلى هذا الوجود المبكي يا سادتي".[3]

كذلك في قوله: "كنت أعرف أن أمي يصيبها الحبور والفرح وتنتشي ببكائي وقت ولادتي".[4]

كذلك: " إلى هذه اللحظة لا زال الحبل السري يربطني بأمي في ذلك الصباح الربيعي".[5]

ويقول أيضا : لقد كانت عيشة مباركة قابلة للقصر". [6]

وكذلك في قوله: "أخي أرسل أصواتا منخفضة مختلطة بالبكاء بين أصوات القابلات والجارات (انغ انغانغانغ)".[7]

وكذلك: " كانت والدتي كان الله في عونها في هذه اللحظات الحاسمة تصدر أصواتا وترسل أنينا وتتصبب عرقا".[8]

---

[1] المصدر السابق، ص87 .

[2] مبادئ و توصيات لنظام الاحصائيات الحيوية ، السلسلة ميم ، العدد 19 ، 2014 ، على موقع الولادة https//www.unescawa.org.:

[3] الرواية، ص33 .

[4] المصدر نفسه، ص 33 .

[5] المصدر نفسه، ص 35 .

[6] المصدر نفسه، ص 35 .

[7] المصدر نفسه، ص 37 .

[8] المصدر نفسه، ص 36 .

وكذلك يقول: "وكانت رجلاي للأعلى ورأسي للأسفل هنا يذكرنا بوضعية خروج الولد من بطن أمه".[1]

* **التسمية أو السبوع:** هذا الطقس من الطقوس يقام عند المجتمع التواتي بعد أن يمر على المولود سبعة أيام ليقام له بعض الطقوس ويطلق عليه اسمه وبعض الولائم والتبارك به خاصة إذا كان المولود ذكرا.

يروي لنا الزيواني عند هذا اليوم في قوله:

"ظل هذا حالي بين حجر أمي وخطيرى مدة سبعة أيام كاملة .لا يبرح بي إلا غيرهما إلى أن جاء يوم التسمية (السبوع)". [2]

" وذبح الضحية المسمّاة خروف الدمان".[3]

" فأقام والدي وليمة غذائية بمصيرتنا البرانية". [4]

"لقد أسميته على والدي المرابط الأكبر".[5]

"ويؤذن في أذني اليمنى".[6]

"وهو فال يتبرك الرجل باسم أبيه".[7]

---

[1] المصدر السابق، ص36 .

[2] المصدر نفسه، ص51 .

[3] المصدر نفسه، ص 51 .

[4] المصدر نفسه، ص 52 .

[5] المصدر نفسه، ص 57 .

[6] المصدر نفسه، ص 58 .

[7] المصدر نفسه، ص 57 .

***الختـــــان:**

سنّة مؤكدة و ذهب بعض أهل العلم الى وجوبه كما قال ابن عباس وجماعة من أهل العلم أنه واجب في حق الرجال لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "الفطرة خمس" يعني السنّة خمس (الختان، الإستجداد، قص الشارب، وقلم الظفر، ونتف الإبط).

"فالختان من أكد السنن وهو قطع القلفة التي على رأس الذكر حتى تخرج الحشفة التي هي الطرف الذكر وتبرز وهي قلفة معروفة يعرفوها الختّانون تقطع في حال الصغر أفضل ولا يجوز تأخير ذلك إلى أن يبلغ".[1]

يخبرنا الزيواني عند يوم ختانه: "ولما صادف حضوري لموسم تلك الزيارة فكر في ختاني".[2]

كذلك في قوله: "فكيف الحال في الختان".[3]

"ألبسونا كل واحد منا عباءة بيضاء خيطت بقيطان".[4]

"أحسست يدا تلمس جلدة مقدمة عضوي".[5]

"أسبح في دماء مجزرة الختان".[6]

---

[1] الإمام ابن باز، كيفية الختان وحكمه، موسوعة فتاوي، على الموقع https//binboz.org.safatawas

[2] الرواية، ص 106 .

[3] المصدر نفسه، ص 108 .

[4] المصدر نفسه، ص 111 .

[5] المصدر نفسه، ص 112 .

[6] المصدر نفسه، ص 112 .

*** حفرة الرابطة:**

مكان يوجد خارج القصر الزيواني تُـرابط فيه المرأة التواتية المتوفّي عنها زوجها لتكمل عدتها فيه كما حددها الشرع أربعة أشهر وعشرة أيام وبعد الخروج منها تقام لها طقوس فرحا بعودتها من تلك الحفرة التي يقال عنها أنّها مكان مسكون بالجن والعفاريت مثل في قول الزيواني: "هناك خارج القصر الزيواني توجد حفرة الرابطة". [1]

كذلك قوله: "وخرج متلمسا في عوالم حفرة الرابطة". [2]

وفي قوله: "فأقمنا لها فرحا لخروجها من العدة وفي عشية هذا اليوم قبل المغرب أخرجوها بلباسها القديم الذي رابطت به خلال فترة الرباط، قلت أخرجوها إلى حفرة خارج القصر فنزعت لها عيشة مباركة لباسها القديم وألبستها لباسا جديدا، كما تخلّت في هذه الحفرة عن كل ما كان يلازمها في رباطها".[3]

وكذلك في قوله: "و ما إن غابت الشمس في جحرها، وهي قابعة في تلك الحفرة".[4]

وكذلك أيضا: "لم يكن من سبيل أمامي أخيرا سوى حفرة الرابطة خارج القصر".[5]

ي-الشراطـــة:

هي عادة من عادات المجتمع التواتي تقام للصبيان عند تماثلهم للمشي والجلوس، تقام لهم كذلك طقوس مثل الوخز بالإبر، وضع الحناء، حليب الغرغار، حيث يقول الزيواني:"لكي يقوم لي بطقوس الشراطة وهي وخزات خفيفة بشفرة حادة فشرطني بثلاث شرطات على جانب خدي وخاتما مميزا بالعدد 111".[6]

---

[1] المصدر السابق، ص 11 .

[2] المصدر نفسه، ص 13 .

[3] المصدر نفسه، ص 188

[4] المصدر نفسه، ص 188 .

[5] المصدر نفسه، ص 239 .

[6] المصدر نفسه، ص 75 .

"فخرج مني دم خفيف لونه كلون دم الذبيحة المذبوحة بسكين دامر فكان الدم أول ما يخرج من الشرطة يتجمع ويبدأ بالتكوير حتى يبلغ حبات التسبيح".[1]

***زيارة الأولياء الصالحين:**

ويقصد بها زيارة لأضرحة الأولياء لتبرك بهم أو طلب الشفاء والدعاء وإقامة بعض الطقوس وهذا معروف بالمجتمع التواتي بكثرة، يقول الزيواني: " لنجد أنفسنا قبالة ضريح ولي قصرنا سيدي شاي الله".[2]

كذلك "زيارة الولي الصالح شريف مولاي الرقاني".[3]

وكذلك: "أسبوع المولد النبوي بتميمون". [4]

وكذلك أيضا :" سيدي مول النوبة". [5]

---

[1] المصدر السابق، ص 76 .

[2] المصدر نفسه ص 121 .

[3] المصدر نفسه ص 105 .

[4] المصدر نفسه ص 105 .

[5] المصدر نفسه ص 55 .

ثالثا-المنـــــاخ:

***الشمس:** نجم مضيء في السماء يشع لنا الحرارة و الضوء.[1]

إذن: تمتاز الصحراء بشمسها الحارقة و الحارة في بعض الأحيان تصل درجة الحرارة الى غاية 50° درجة مئوية مما يجعل سكانها يرتدون ملابس خاصة ويلتثمون من أجل الحرارة العالية و مناخها شديد القساوة ومما يجعلهم يرحلون من منطقة إلى أخرى بحثا عن الكلأ والماء للمرعى.

إذن يحدثنا الزيواني عن شمس الصحراء حيث يقول:

" فتحت في سقفه كرة صغيرة كانت الشمس تدخل منها"[2]

أيضا : كانت الشمس ذلك الصباح الصاخب"[3]

كذلك في قوله : " قد بدأت الشمس في الاصفرار "[4]

أيضا : " بعدما إختفاء الشمس في وكرها"[5]

أيضا : " رفقة الداعلي ننعم بدفء الشمس بالساحة المحاذية للقصبة"[6]

أيضا : " و لما بلغت الشمس ضحوتها الربيعية أرسل أبي لمبارك ولد بوجمعة".[7]

أيضا : " كشروق الشمس خلف كثبان الرمال زمن الصيف"[8]

أيضا : " وإنما هي مكان مخصص لوضع التمر في الشمس"[9]

أيضا : " و بينما كانت الشمس قد تدحرجت من كديتها"[10]

---

(1) أحمد محمد الشرقاوي ، نعمة الشمس في ضوء القران الكريم ، أبحاث ، ص 393 .

(2) الرواية، ص 91 .

(3) المصدر نفسه، ص 111.

(4) المصدر نفسه ص 126 .

(5) المصدر نفسه ص 188 .

(6) المصدر نفسه ص 97 .

(7) المصدر نفسه ص 51 .

(8) المصدر نفسه ص 54 .

(9) المصدر نفسه ص 67 .

(10) المصدر نفسه ص 12 .

أيضا : " المهم إن صداقة الشمس الحارقة مع سطوة المكان".[1]

أيضا : " تلك الثياب البالية المرمية و المحروقة بأشعة الشمس".[2]

*** الرمـــــل:**

مادة طبيعية على شكل حبيبات صغيرة مفككة ناتجة عن تفتت الصخور والمعادن وبعض المواد العضوية الجافة نتيجة العوامل الطبيعية المختلفة من رياح وأمطار وأمواج ودورات تجمد والذوبان في الأماكن الباردة خلال حقب تاريخية طويلة تمتد على عشرات ملايين السنين.[3]

تمتاز الصحراء برمالها الصفراء وكثبانها الحارقة وما الصحراء إلا صحراء لكثرة رمالها حيث يحدثنا الزيواني في روايته هذه عن الرمل المتواجد فيها يقول :

" يلاحظ حدوث الزوبعة الرملية الدائرية"[4]

يقول أيضا : " حفرت لي أمي حفرة صغيرة في الرمل بمقدار مقعدي".[5]

و يقول أيضا : " حتى عاد تراب البيت و رمله و تضاريسه".[6]

و يقول أيضا : " اصابع لالة باقي على رمل البيت".[7]

أيضا : " أشد ما تكون تسمرا بالأرض و قد غاصت مقدمتها في الرمل".[8]

أيضا يقول: "خلف كثبان عرف الرمل زمن الصيف"

---

[1] المصدر السابق، ص14.

[2] المصدر نفسه، ص11.

[3] الوقع الالكترونيقافلـة : https://www.alarabiya.net

[4] الرواية، ص13 .

[5] المصدر نفسه، ص73.

[6] المصدر نفسه، ص78.

[7] المصدر نفسه، ص83.

[8] المصدر نفسه، ص84.

رابعا- الطّبيعـــــة:

*** النخيـــــل:**

شجرة النخيل هي من الأشجار المعمرة والمباركة ومعروفة منذ أقدم العصور ولها ذكر في الحضارات القديمة كحضارة وادي الرافدين، السومرية والبابلية وغيرها من الحضارات الأخرى.

وتوجد أشجار النخيل في الأجواء المناخية والصحراوية والمدارية الحارة و جذورها لا بد أن تُروى بالمياه العذبة، والجو الحار يساعد على نضج التمر وهي سيّدة الشجرة المثمرة وكأنّها عروس تتحلّى بقلائد من ذهب وتترسّخ جذورها في الأرض والحيـــاة والتاريخ معا[1] فقد ذكرت في القران الكريم في سورة [الرحمان] قال تعالى: "وَالنَخْلُ ذَات الأكْمَام".[2] وقوله عز و جل في سورة [ق] :﴿وَالنَخْلِ بَاسِقَات لَهَا طَلْعٌ نَضِيد﴾.[3]

فالنخلة قريبة من قلب العربي ووجدانه وجذوره، فأصبحت مهيمنة في مواضيع النثر والشعر، وذكرها الكثير من الأدباء في كتاباتهم في العصور القديمة والحديثة، مثل الرواية التي بين أيدينا، فالحاج أحمد هو ابن الصحراء فلقد ترعرع فيها وكما يقول الفلاسفة الإنسان إبن بيئته فيتأثر ويؤثّـر فيها، فالزيواني في روايته "ملكة الزيوان" ذكر لنا النخلة في قوله: "سقفت سقيفاته بخشب النخل... بابه خشبي صنعَ من جذع النخل المملّسة بإبراء القادوم...".[4]

وهنا يصف لنا الزيواني بيته الذي كان سقفه صنع من خشب النخيل وبابه أيضا من خشب النخيل، فهم يعتمدون عليه كل الاعتماد في بناء منازلهم فالنّخيل موجود بكثرة لدى أهل التوات لقوله: "عندما يصيبه باطن الرجل، لكثرة النخيل عندنا".[5]

---

[1] عبد القادر باش أعيان، النخلة سيدة الشجرة، مطبعة دار البصرة، بغداد، 1964، ص08 .

[2] القران الكريم، سورة الرحمان الآية11.

[3] القران الكريم، سورة ق، الآية10.

[4] الرواية، ص65.

[5] المصدر نفسه، ص64.

فالنخيل عند الزيواني له الكثير من الأنواع فهي تختلف كل واحدة عن الأخرى في قوله: "من نهاية جريدة يابسة لنخلة مدللة بين النخيل كدلالي عند أهلي، وتسمّى هذه النخلة عندنا بانخلوف".[1]

فيبدو أنّ الروائي كان يحبّ النخلة لدرجة أنه وصف حليب أمه المتدني منها وكأنّه قطرات من المطر تنزل على سعف النخيل إذ يقول: "منتظرا قطرات الحليب، والتي كانت تنزل فيه كنزول قطرات المطر مع سعف النخيل المتدلّي".[2]

وأهل التوات كانوا يملكون الكثير من النخيل نرى كيف سرد لنا الروائي عام الجراد الذي لم يترك الأخضر واليابس وجاء على محاصيل النخيل ولم يترك بها شيء يقول: "حيث أتى الجراد على الأخضر واليابس، وهلك الحرث والنسل، ولم يترك للفلاّحين من نخيل سباخهم سوى نخل محلوق جريده".[3]

وقد وصف لنا الزيواني أرض الزيوان بأنها توجد بها النخيل في قوله: "أرض الزيوان ... ما يجعلكم تفتخرون بطينها، ورملها ونخلها".[4]

ومن هنا نستنتج أنّ الزيواني يفتخر بأرضه التي بها النخيل فالنخيل رمز للعطاء والسخاء، والملاحظة أن أشجار النخيل لها مكانة عظيمة لدى الزيواني.

---

[1] المصدر السابق، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص46.

[3] المصدر نفسه، ص41.

[4] المصدر نفسه، ص28.

*** الحيوانـــــات:**

توجد في الصحراء الكبرى العديد من الحيوانات التي تنتمي إلى فصيلة الثديات، كذلك يوجد أنواعا مختلفة من الطيور، والزّواحف بالإضافة للعديد من العناكب، والعقارب وهنا في الرواية سرد لنا الروائي بعض من الحيوانات منها الحمير فقد كان الروائي يعتمدون عليها في التنقل لقوله: "فركبنا نحن الاثنين حمارنا الأبيض المتكسّر بياضه، ورافقنا والده راجلا ممسكا بذيله، فانطلقنا لجهة الغرب أسفل القصر، في زقاق طويل منحدر لا أثر فيه إلا الأقدام الحمير وحوافرهم وبولهم وروثهم، حتى بلغنا المواشير...".[1]

ويقول أيضا:"...ركبنا على حمارنا، ورجعنا قافلين للقصر، بعد هذه الزيارة الاستكشافية ..."[2] وفي موضع آخر يقول: "كما أنّ الراكب على الحمار، ينزل ساعة مروره، وهي طقوس يتعلمها الصغير من الكبير...".[3]

نستنتج أنّ الزيواني وأهل التوات كانوا يعتمدون كل الاعتماد على الحمير في تنقلاتهم فهو الوسيلة الوحيدة التي يعتمدون عليها للقيام بأمورهم في القصر والتنقل من مكان إلى آخر. ويبدو أن الحمير هو الحيوان الموجود بكثرة حيث يقول: "حتى نهيق الحمير في سماء القصر يا سادتي ... فبعدها كان نهيقهم يشكّل لنا معزوفات قوية".[4]

كذلك ذكر لنا الناقة والجمل ولكن لم يذكرها ذكرا صريحا بل تشبيها بالأشياء كقوله: "... بدا لي لون ذلك اللبان، الله أعلم كبول الناقة الحبلى في شهورها الأخيرة".[5]

هنا يشبّه الزيواني لون عطر أمه كبول الناقة ومن هنا يتّضح لنا أنّ الجمل من الحيوانات الموجودة كذلك في الصحراء أو عند أهل منطقة أدرار.

---

[1] المصدر السابق، ص 125 .

[2] المصدر نفسه، ص 124 .

[3] المصدر نفسه، ص 125 .

[4] المصدر نفسه، ص 25 .

[5] المصدر نفسه، ص 63 .

وفي قول آخر للزيواني: "... لونها كالوبر الأحمر الداكن عند الجمل المرتوي رضاعه في صغره".[1]

وقد كانوا يعتمدون على الجمل في الترحال لمسافات طويلة إذ يقول: "حيث يقطع البعير المسافات الطويلة في الصحراء الطوارق الملثّمين...".[2]

وقد ذكر لنا بعض الحشرات التي كانت موجودة في قصر الزيوان حيث يقول: "يرسم التضاريس أرجل وآثار للحشرات التي غدت أو راحت بفم الحفرة، بما فيها العقارب والخفاش والفئران والقطط والثعابين".[3]

وفي الأخير نستنتج أن الأدباء قد اهتموا منذ القدم بتوظيف الحيوانات في كتاباتهم الأدبية، وقد جرّهم هذا الاهتمام بالحيوان إلى الكتابة عنه وكشف مدى اهتمامهم بتسجيل حركات الحيوان وسكناته وطبائعه بأحلى صورة وأبلغ قول، فما من شاعر عربي وإلا للحيوان أثرهم في شعره ولكنهم متفاوتون في هذا المضمار. [4]

---

[1] المصدر السابق، ص 40 .

[2] المصدر نفسه، ص 40 .

[3] المصدر السابق، ص 14 .

[4] شاكر هادي شكري، الحيوان في الأدب العربي، ط1، ج1 ، 1985، ص 07 .

خامســـا: الأدب:

أ-الأمثـــال الشعبيّـة:

تتردّد الأمثال الشعبية يوميا على ألسنتنا في المنزل أو العمل أو حتى في الحديث بين الأهل أو الأصدقاء، والأمثال الشعبية تراث قديم تتوارثه الأجيال وتردده في معترك الحياة اليومية.

ويعرف المثل الشعبي أنه قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه وإصابة معناه قبل في مناسبة معينة، ثمّ تردّده الألسنة فيما يعن لهم من مناسبات مشابهة، ليصيب الغرض منه كتهذيب السلوك أو بث قيمة بعينها طبقا لفلسفة المجتمع، وفي بعض الأحيان يكون حلا مبسطا لبعض المشكلات التي يتعرض لها الإنسان.[1]

ووصف ابن عبد ربّه الأمثال بأنها: "وشي الكلام، وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تميّزها العرب، ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتّى قيل: أسير من مثل".[2]

ويعرفه الفرابي بقوله "المثل: ما ترضاه الخاصة والعامة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوا فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدرّوا به المتمنع من الدرّ، وتوصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأنّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ بلوغ المدى في النّفاسة.[3]

ففي الأمثال ما تأنس النفس وسرعة قبوله وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلّما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصيّة العقل و لبّه وثمرته.

---

[1] نعمان عبد السميع متولي، الأمثال العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع،ط1، 2015، ص07 .

[2] الحسين بن الفضل، الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، ط1، 1996، ص81 .

[3] الفرابي، ديوان العرب، ج1، مجمع اللّغة العربية، ص85.

ولمكانة الأمثال وأهميتها اهتم العلماء بالتأليف فيها قديما وحديثا حيث جمعوها ورتّبوها وشرحوا غريبها وبيّنوا القصص الّتي صدرت عنها والمناسبات التي تضرب فيها وتُحكى.[1]

يقال أن الأمثال يتضّح المقال: "حقا فإنّ المثل يجلب الاهتمام ويوضح المقصود ويؤكده بل هو جد مثير للخيال وعون كبير على الفهم، فهو متعة في نفس الوقت للفكر والمشاعر".[2]

هي "أن الأمثال ما دارت وتداولت على ألسنة أبناء كل شعب من شبّانهم وشيوخهم وخاصّتهم وعامّتهم حتى تكون تذكرة تبصرة واعتبارا وانتباها لهم، وتربيتهم تربية تزيد عقولهم وفحاصتهم وتنمّي قواهم الروحيّة والجسمية ليفتكروا فكرا صحيحا سالما".[3]

لقد وظّـف الروائي في رواية "مملكة الزيوان" المثـل في قوله:

"دقيقنا في رقعتنا يا الغيواني"[4] وهنا يقصد به أنه يريد أميزار لابنه مرابط.

"اللي ما جابوا المكتوب يجيبو لكتوب"[5] وهنا التوجّه إلى الطالب "أيقش" من أجل إيجاد حل لتقرّب أميزار من الزيواني.

"ربيتم يا أجيرتي أو تاكليني".[6]

"أتكركيب لكدا، ولا أشفاية لعدا".[7]

"الماء إيلا نكسر في الجنان ما ضاع".[8]

"البنت عندنا كالرقبة، موكولة أو مدمومة".[1] فالبنت عند أهل الزيواني لا تورث شيء فالميراث يقتصر على الذكور فقط.

---

[1] ابن القيم الجوزية ، الأمثال في القرآن الكريم ، أول معجم عربي مرتب حسب اللاتينية، دار المعرفة للنشر والطباعة، بيروت، لبنان ، ص 22 .

[2] عبد الرحمان حاج صالح، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية، ص04 .

[3] عبد القادر الرازي، الأمثال والحكم مجمع اللغة العربية دمشق، 1987 ، ص 07 .

[4] الرواية، ص 229 .

[5] المصدر نفسه، ص 209 .

[6] المصدر نفسه، ص 194 .

[7] المصدر نفسه، ص 180 .

[8] المصدر نفسه، ص 167 .

"تاكل الغلّة وتسب في الملة"[2] وهو يضر هذا المثل لمن يمكر الخير ويكون غير حامدا لنعمة الله عليه.

من خلال عرضنا لبعض الأمثال الشعبية التي وردت في الرواية تبرز لنا مدى ثقافة الروائي وتشبعه بالثقافة الشعبية التي استمدها من بيئته التواتية، وترسّخت في ذهنه.

***الأغنيـــة الشعبيّـــة:**

صحبت نشأة الغناء نشأة الإنسان والغناء غريزة في كل شعب إنه لون من ألوان التّعبير عن حياته، والغناء تعبيرا عن الانفعالات النفسية للفرد وللجماعة لهذا تجيء الأغاني مصوّرة لميول الشعوب وطبائعها والأغاني الشعبيّة معارض خصبة أن لم تقل لوحات تعبيرية منها الزاهي البهيج والقاتم الحزين، منها الوضيع، ومنها الرفيع، وهي على اختلاف ألوانها وتعدّد نواحيها تؤلف ثروة فنية باقية لهذا يغني الناس في مختلف الأمم المتحضرة بجمعها وحفظها بشتّى الطرق.[3]

وفي ضوء هذا يمكن القول أنّ الأغنية الشعبية جاءت لتعبر عن دورة الحياة وعن علاقة الإنسان بمحيطه"[4]، فالأغنية الشعبية شكل من أشكال التعبير الشعبي قوامه الكلمة واللحن ويغلب في كتابتها اللغة العامية أو اللهجة المحلية لأي شعب كان".[5]

تعدّدت تعريفات الأغنية الشعبية، فيرى "كراب" أنّ الأغنية الشعبية هي "قصيدة شعرية ملحنة، مجهولة الأصل وشاعت بين الأمّيين منذ وقت طويل وما تزال حية ومستعملة".[6]

وهكذا فإن كثرة التعاريف حول الأغنية الشعبية، إلاّ أنّ المهم والذي يجب ملاحظته، هو أن مكانة الأغنية الشعبية في المجتمع تعتمد بالدرجة الأولى حول ما تؤديه الأغنية

---

(1) المصدر السابق، ص80 .

(2) المصدر نفسه، ص 57 .

(3) بهيجة صدقي رشيد،أغاني شعبية مصرية، جمعت ألفاظها ودونت موسيقاها و ترجمتها إلى الانجليزية، 1958، ص05.

(4) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية و دورة الحياة ، ص317 .

(5) أكرم رافع نصر، الأغنية الشعبية ، في تراث جيل العرب موسوعة جيل العرب ص 06

(6) المرجع نفسه، ص07.

الشعبية من وظائف وليس معنى هذا أن تكون خالية من المضامين الأدبية أو التعابير الفنية".[1]

وتختلف هذه الأغنية من مجتمع إلى آخر، وهذا الاختلاف يعود بطبيعة الحال إلى اختلاف الثقافة ومستوى التحضّر، ففي الجزائر نجد هذه الأغنية تختلف من منطقة إلى أخرى ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى". [2]

وقد استظهر لنا الروائي الأغاني الشعبية المتداولة عند أهل التوات ومنها: داني، داني يا داني:

زرق الريش إيلا أغذيت للعاشقين ۞ سال أعلى مروشة أجبالها دارقين [3]

وقوله في أغنية شعبية أخرى يستخدمها النسوة من أجل أن ينام الأطفال الصغار إذ يقول:

الله ...الله.الله

يا سيدي بوتدارة

يا من جاهك عند الله

أرجال الصبارة

جيت أمهودة لتوات

ألقيت الزعفة ما أبقات

اداها بوريشات

أو لحت العـاره أعلى مولانا[4]

ومن خلال تقديم بعض الأغاني الشعبيّة التي جاءت في الرّواية نجد أنّها أعطت بعدا جماليّا وفكريا للرّواية وجسّدت تمسك الكاتب التراث الشعبي.

---

[1] المرجع السابق، ص09.

[2] عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية ودورة الحياة، ص 317.

[3] الروايـة، ص 18.

الخاتمة

الخاتمـــــة:

تعدّ رواية "مملكة الزيوان"، رواية من عمق الجنوب الجزائري، يرصد الجزائري الصّديق الحاج أحمد المتغيرات الاجتماعية التي مرت بها الجزائر عامة ومنطقة أدرار في الصحراء الجنوبية الخاصة، ويصوّر حياة الناس حينما تجتاحهم متغيرات عديدة ويلفهم الانشغال بالمستقبل والخصوصية فيدفن التاريخ ويبقى رهين الذكريات، فهي واحدة من الروايات الصحراوية الغنية بتوظيف التراث الشعبي الذي يعكس واقع الحياة الثقافية والاجتماعية والعلمية لأهل التوات، وقـد نتج عن هذا التوظيف مجموعة من النتائج يمكن استخلاصها فيما يلي:

- ❖ التراث أنجح وسيلة لصناعة التميز وإبراز الهوية الوطنية والكشف عن ملامح خصوصياتها، عطفا على تغذية العقل الجمعي ومده بالقمم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام، ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال، والحرص على ضمان استمراريته.
- ❖ يعتبر التراث رصيد الأمة الباقي وذخيرتها الثابتة، والأمم بماضيها قبل أن تكون بحاضرها فلا يمكن فهم الحاضر إلاّ من خلال الماضي، أي باعتبار التراث نقطة بداية لا نقطة نهاية. ذلك إلى محاولة توظيف مكوناته لخدمة الحاضر.
- ❖ التراث عدا أهم مكون من مكونات الرواية فتمثله الرواية العربية والجزائرية أحسن تمثيل، فوظفت الحكاية، والسيرة الذاتية، واستثمرت الأمثال الشعبية والألغاز، فكانت اللّغة متماهية مع خصوصيّة هذا التّوظيف.
- ❖ "مملكة الزيوان" من الروايات الصحراوية الغنية بتوظيف التراث الشعبي، وقد تنوعت من أغاني شعبية وأمثال وطقوس التي تعكس بصدق عادات وتقاليد أهل التوات.

- ❖ يحاول "الحاج أحمد الزيواني" في روايته هذه أن يؤرخ للمكان الصحراوي ويكشف طبيعته من خلال ذكره للرمال والنخيل والسعف، فهو يحاول أن يساعد القارئ على اكتشاف الجوانب الخفية والغنية بالدلالات التراثية.
- ❖ رواية مملكة الزيوان لكاتبها الصديق الحاج أحمد التي نجد في طياتها ألفاظا وعبارات محلية خاصة لجنوب الجزائر أو بالأخص مدينـة أدرار وهذا يدلّ على تشبع الروائي بالثقافات.
- ❖ استخدمت رواية مملكة الزيوان "المكان التراثي" مسرحا لأحداثها فأغلب أحداث الرواية جرت في فضاءات تراثية كالقصر، الزقاق، المدرسة.
- ❖ أدّى الموروث المحلي بأشكاله المتنوّعة دورا هاما في رسم تقاسيم الأمكنة ودلالاتها في الرواية كالمعتقدات الشعبية والأساطير، حفرة المرابطة، أضرحة الأولياء الصالحين.
- ❖ استخدم الرّوائي "الحاج أحمد الزيواني" في روايته مملكة الزيوان أمكنة الترابية دلت على الجانب المقدس عند أهل التوات كالمسجد والكتاب.
- ❖ نرى أن الزيواني وظّف أمكنة تواتية تدلّ على التطور والمعاصرة كالعاصمة والولاية.
- ❖ بين لنا الزيواني في روايته كيف رسمت هذه العادات والتقاليد وصورة لشخصية الفرد التواتي وطبيعة تشكله و ما تحمله من دلالات اجتماعية ونفسية.
- ❖ حاول "الزيواني" إبراز المعتقدات التي أثرت سلبا على أهل التوات كقضية التعليم، رغم مجانية التعليم التي منحتها الدولة.
- ❖ جاءت رواية مملكة الزيوان مليئة بالتراث الثقافي لمنطقة أهل التوات الصحراوية، ويتضح ذلك من خلال الأمثال الشعبية التي وظفها الروائي بكثرة، والتي تتراوح بين البساطة والتعقيد.

- ❖ وأيضا الأغنية الشعبية التي وجدت بكثرة في رواية "مملكة الزيوان" فهذا التوظيف للموروث اللّغوي من طرف الراوي، خلّف لنا مناخا شعبيّا مستمدا من الظروف الاجتماعية.
- ❖ لقد وظّف الراوي ذاكرته من أجل استحظار طفولته لقد جعل الراوي الحيوان هو النموذج لتجسيد هذه المتناقضات وتأكيد على استمرار الحياة ووجود الإنسان المكافح.
- ❖ لقد اختار الروائي "الحاج أحمد الزيواني" شخصيات مختلفة وبلغات متعدّدة كشف لنا من خلالها عن البنيات التي شكلت ذهنيّة أبناء المناطق الصحراوية.
- ❖ يعتبر الزمن عنصرا هاما في رواية "مملكة الزيوان"، فهو بمثابة الروح والقلب النابض للأحداث وبدونه تفقد الأحداث حركتيها.

وفي الختام نحمد الله ونأمل أن نكون قد وفّقنا في هذه الدراسة واستطعنا تقديمها في صورة مقبولة وأن نحقق ذلك، فالفضل لله عز وجل.

المصادر

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القـــــرآن الكـــريم**

المصـــــــــــادر:

❖ الصّديق الحاج أحمد "مملكة الزيوان"، ط3، دار الداوية للنشر والتوزيع، تيمي، أدرار، 2021.

المراجـــــع:

1-إبراهيم الكوني، رمزية الصحراء حوار في بيت الحكمة، دورة 42 للكتاب، الملتقى الدولي للشارقة، 2023/12/02.

2- الحسين بن الفضل، الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، ط1، 1996.

3-أحمد الحبشي، التراث، مفهومه وأنواعه، دار الثقافة والفنون، سنة2023.

4-أكرم رافع نصر، الأغنية الشعبية، في تراث جيل العرب موسوعة جيل العرب.

5-أكرم ضياء الدين، التراث والمعاصرة، ط1، قطر، 2013.

6-أكرم ضياء العامري، التراث والعاصرة، ط1، قطر، 2023.

7-آمنة بلعلي، متخيل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية، أكتوبر 2018،.

8-باش عبد القادر أعيان، النخلة سيدة الشجرة، مطبعة دار البصرة، بغداد، 1964

9-بهيجة صدقي رشيد،أغاني شعبية مصرية، جمعت ألفاظها ودونت موسيقاها و ترجمتها إلى الانجليزية، 1958.

10-جنات زراد ، المتخيل الصحراوي في الرواية العربية، مخبر الآداب العام والمقارن، عنابة، 2015/2014.

11-حسام الدين طاهر عبد المنعم، مع التراث، قسم الثقافة الإسلامية، ط1، مصر،1996.

12-حسن حنفي، التراث والتجديد، موقفنا من التراث، ط5، 2002.

13- أبو الحسن علي الحسني الندوي، نظرات في الأدب، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1990.

14-حمدو توماس، زهير ابن أبي سلمة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

15-خليف مصطفى غرايبية، السياحة الصحراوية، تنمية الصحراء في الوطن العربي، دار النشر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 ، 2012.

16- رزقي شيماء، عادات وتقاليد، كتاب جامع، (د.ط)، (د.س).
17- الرازي عبد القادر ، الأمثال والحكم مجمع اللغة العربية دمشق، 1987
18-السعيد الورقي، في مصادر التراث العربي، دار المعرفة الجامعية، 2023.
19-سعيد يقطين، الكلام والخبر، مصر، ط1، 1997.
20-السيد القمني، الأسطورة والتراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ط3، 2012.
21-شاكر هادي شكري، الحيوان في الأدب العربي، ط1، ج1 ، 1985.
22-صلاح الجبوري، التراث الثقافي اللامادي لبدو العراق في بادية غرب نهر فرات، العراق، 2022.
23-صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربيّة السوريّة، دمشق، 1996.
24-عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للتوزيع، ط3، 1976.
25-عبد الرحمان حاج صالح، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية.
26-عبد السليمان المؤمن عمر، الناقة والصحراء في شعر الأعشى، ميمون بن قيس، كلية علجون الجامعية.
27-عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية و دورة الحياة.
28-عشيري زايد علي ، استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، مصر، 1997
29-علي شطي، التراث الثقافي المادي والغير المادي، دار ومضة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1
30-فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، سوريا، دمشق، ط1، 1992 م
31-فريدة بالرقي، عادات وتقاليد، كتاب جامع، (د.ط)، (د.س)
32-محمد أحمد السمارائي، الأصالة والمعاصرة، كلية الآداب، الجامعة المنصرية، بغداد، 1999
33-محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، بيروت، 1996
34-محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار النشر والتوزيع عنابة، 2013
35-مفدي زكريا، اللهب المقدسة، منتدى صورة أزكية، الجزائر، (د.ط)، 2007.
36-المصطاوي عبد الرحمان، ديوان امرئ القيس شرح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004
37-نزار التجديتي، حلم الصحراء في الأدب المغاربي، محاضرة 31 ماي 2007.
38-نعمان عبد السميع متولي، الأمثال العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع،ط1، 2015.
39-يونس عبد الحميد ، التراث الشعبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1979.

الكتب المترجمة:

1-سام، بربل ابيشتين، كلّ شيء عن الصحراء، مصطفى بدران، دار المعارف بمصر، 1971.

المجـــــــلات:

1-أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، سلسلة فصليّة، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعيّة والشؤون الدينيّة، ط1.

2-خالد بن إبراهيم السليطي، مجلة سرديات المؤسسة العامة للحي الثقافي الدوحة، قطر، ع8 أغسطس، 2023.

3-خديجة صبّار، مجلة التراث، كيف نقرأ التراث،.

4-الخضر بن عيسى، الصحراء في الأدب الجزائري لرواية "سأهبك غزالة لمالك حداد"، المجلّة الدولية الأردنية أريام 2019/07/06.

5-خطوة العيفة، صورة الصحراء ،في الشعر الشعبي وأثره على المجتمع، المجلة الدولية الأردنية أريام 2019\06.

6-وليد حمادي، المجلّة العربية للدراسات الانتربولوجية المعاصرة ، صدر عن مركز فاعلون، مجلد06، عدد02، 2020

7-مجلّة كلية التربية، الاتجاهات نحو العادات والتقاليد كالظواهر الاجتماعية المحلية، جامعة الأزهر، العدد 180، ج3 أكتوبر 2016م.

القواميس والمعاجم :

1-ابن القيم الجوزية ، الأمثال في القرآن الكريم ، أول معجم عربي مرتب حسب اللاتينية، دار المعرفة للنشر والطباعة، بيروت، لبنان.

2-أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.

3-الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر، مج7، ط1، 1994،.

4-الطبري جامع البيان في تفسير القرآن، ومؤسسة الرّسالة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ج6، ط5، 1998، تسير آية الأحقاف- الآية 21

5-عبد الله البستاني، معجم الوسيط، مكتبة لبنان بيروت، ط1، 1990.

6-الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، 2008.

7-الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الكتاب العلمية، ط1، 2002.

8-لسان العرب، ابن منظور
9-معجم الوجيز – مجمع اللغة العربية مصر، طبعة خاصة بوزارة التربية، 1994م.

الأطروحات والمذكـــــــرات:

1-بلي نعيمة، الفضاء الصحراوي في الرواية المغاربية المعاصرة ، مذكرة ماستر، إشراف قحام توفيق، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2020- 2021.
2-بوقفة صبرينة تمثيلات الصحراء في الشعر الشعبي الجزائري، ابن قيطون لقصيدة حيزية، جامعة تبسة،2021/11/04،
3-خديجة بلخرشوش، تجليات التراث في رواية "رمل المادية"، مذكرة ماستر، جامعة 08ماي1945، قالمة، 2017-2018.
4-رجاء مكاحلية، هدى بوعلاق، تجليات الصحراء الجزائرية في الرواية الغربية ليلة النار لـ: إيريك إيمانويل شميت، مذكرة ماستر، 2020- 2021،
5-زينب بضياف، دلالة الصحراء في رواية صحراء الظمأ لخضر السايح، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014|2015
6-مقداس رزيقة، صورة الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، 2021
7-مقداش رزيقة، صورة الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي، إشراف الدكتور مصطفى درواش، جامعة مولود معمري، تيزي وزو 2021- 2022 .
8-مليكة سعدي الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، 2013
9-مهدي وداد، يافوز فطيمة، تجليات الحضور التراثي في رواية "مملكة الزيواني"، مذكرة ماستر،2018-2019،.

المواقع الإلكترونية:

1- أحمد محمد الشرقاوي، نعمة الشمس في ضوء القران الكريم، أبحاث، الموقع الالكتروني: https://www.alarabiya.net
2- أبو بكر زمال، الصحراء جنة الكلمات لقاء مع الحبيب السايح على مجلة الجديد https//www.aljadidmagazine.com

3-الإمام ابن باز، كيفية الختان وحكمه، موسوعة فتاوي، على الموقع https//binboz.org.safatawas
4-الأمير عبد القادر، قصيدة باعازر،لإمرى قد هام في الحضر على الموقع الالكتروني: .https//www.diwaneB.com
5-جميلة طلباوي، الصحراء في الرواية الجزائرية البادايات النازفة والانتباه المتأخر، على الموقع:
6-حسين جلعيب السعدي، السحر حقيقة ، وحكمه على الموقع : https//bfdc.journales.ekb.egpdf
7-حمدو طماس، زهير ابن أبي سلمى، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط2، 2005 https//www.annasonline.com
8-حوار مع الزيواني، تحليل مملكة الزيوان، حصة خير جليس، العربيّة نت على الموقع: https://khaerjalees.com
9-حوار مع الزيواني، جريدة الشروق، على الموقع: https ://www.echourouk online.com.in
10-حوار مع الزيواني، جريدة النصر، على الموقع :https ://www.annas.sonline.com
11-دنيا الرقطي على الموقع :https//www.almawdou3.com
12-رهف القرعان، حيوانات البيئة الصحراوية، على الموقع: https//www.almawdou3.com
13-ساجدة أبو صوي، تعريف الصحراء، على الموقع: https//www.almawdou.com،
14-سلسبيل حمور، حكم الشعوذة في الإسلام على موقع :.https//www.mawdoo3.com
15-طارق شداد، علم النبات والبيئة، على الموقع: https://planting.mawdou3.com
16-طرفة بن العبد، العصر الجامهلي، أصحوت اليوم أم شاقتك هرّة، مجلة الديوان على الموقع: https//www.adiwane.com
17-عامر منيب، الصحراء وسحر الرمال، أرشيف الشعر الفصيح والواحة الأدبية الغناء، على الموقع: https://www.mawdou3.com
18-مبادئ و توصيات لنظام الاحصائيات الحيوية ، السلسلة ميم ، العدد 19 ، 2014 ، على موقع الولادة :.https//www.unescawa.org
19-محمد بوزرواطة، الصحراء كما يراها مراثي للعدم ومسالك التيه والترحال لرشيد بوجدرة، مجلة مسارب الالكترونية ، على الموقع: https://www.masareb.com .
20-مركز الاتحاد للأخبار على الموقع :https//www.elitihad.ae.article
21-موسوعة المعرفة، نباتات الصحراء، 16 فبراير 2007 ، على الموقع: https://m.maarefa.org/%D9 .

22-هاجر جلال ، التربة الصحراوية، على الموقع : https://www.almersale.com 05 نوفمبر 2022، 14:34 سا.

23-يومية الاتحاد الجزائرية على الموقع: https//www.elitihad.com.dz .

الفهـــرس

فهـــرس الموضوعـات

العناويـــــــــــن	الصفحـة
البسملـــة	
شكر وعرفان	
إهـــــداء	
مقدمـــــة	أ-ت
المدخـــــل: الصدّيق حاج أحمد/ مملكة الزيوان/ سيـــرة وعمـــل	
أولا: الصدّيق حاج أحمد مصادر الثقافة، دينامية التحوّل.....	6
ثانيا: مملكة الزيوان: هندسة البناء ومعمارية الرّواي.....	9
الفصل الأول: التـــــراث/الصحراء: مفاهيم ورؤى	
المبحث الأول: ماهيّة التّـــراث	27
1-تعريفه: لغة واصطلاحا.....	27
2-أنـــــواع التراث.....	32
3-عناصـــر التراث.....	36
4-خصائص ومميزات التراث.....	38
5-مصـــادر التراث.....	39
6-أهميّـــــة التراث.....	43
المبحث الثاني: ماهية الصحراء.....	45
1-تعريفه: لغة واصطلاحا.....	45
2-مسميّاتهـــا.....	49
3-	50

خصائصها.....	
4-الصحراء في كتابات الأدباء والشعراء.....	52
5-الصحراء في الأدب الشـــعبي.....	56
6-الصحراء عند الروائيين العرب.....	58
7-الصحراء عند الروائيين الغرب.....	64
الفصل الثاني: تجليّات الصحراء في مملكة الزيوان	
أوّلا: العادات والتقاليد.....	67
ثانيا- الطقـــوس.....	76
ثالثا- المنـــــاخ.....	83
رابعا- الطبيعـــة.....	85
خامسا- الأدب.....	89
خاتمـــــــــــة.....	94
المصادر والمراجع.....	98
الفهـــــــــــرس.....	105

الملخّص باللّغة العربية:

يعدّ موضوع التّراث الصحراوي من الأعمال الأدبيّة ومن المواضيع التّي أثارت اهتمام الروائيّين العرب والغرب والعمل الذي نحن بصدده والموسوم بـ: **تجليّات التّراث الصحراوي في مملكـة الزيوان للحاج أحمد الصدّيق الزيواني**، وظّفنـا فيه التراث الصحراوي للمملكة وآليّاته التي قدّم بها الزيواني التراث في مملكته.

الكلمات المفتاحيّة: التراث، الصحراء، مسمّيات الصحراء، الصحراء والأدب الشعبي.

Summary :

The subject of desert heritage is one of the literary works and one of the topics that aroused the interest of Arab and Western novelists, and the work we are discussing is tagged: Manifestations of the desert heritage in the Kingdom of Ziwan by Hajj Ahmed Al-Siddiq Al-Zaiwani, in which we have employed the desert heritage of the Kingdom and its mechanisms by which Ziwani presented the heritage in his kingdom.

Keywords: heritage : desert, desert names, desert and popular literature.